بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ للَّهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذُ باللَّه من شُرور أنفُسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده اللَّه فلا مُضِلَّ له ، ومَنْ يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أنْ لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ . [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ . [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ ﴾ . [الأحزاب] .

أما بعد فإن أصدق الحديث كلام اللَّه تعالى ، وخير الهدى

to:
WWW.AL-MOSTAFA.COM

هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

قال القرطبي : « أخبر تعالى بأن الشيطان عدو وخبره حق وصدق . فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم ، وبذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم ، وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال جل من قائل : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٩] .

وقال سبحانه : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة : ٢٦٨] .

وقال سبحانه : ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ٦٠] .

وقال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩١] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص : ١٥] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] .

وهذا غاية في التحذير ومثله في القرآن كثير .

وقال عبدالله بن عمر : إن إبليس موثق في الأرض السفلى فإذا تحرك فإن كل شر الأرض بين الثنين فصاعدا من تحركه .

وروى الترمذي من حديث الحارث الأشعري وفيه : « وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله » (١) .

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن مغفل رضي الله عنه قال : كنا نتحدث أن المسجد حصن حصين من الشيطان .

(١) جزء من حديث صحيح رواه الترمذي [٢٨٦٣] وسيأتي تخريجه مفصلاً .

والمراد بالذكر هنا الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل : الباقيات الصالحات وهي : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » وما يلتحق بها من الحوقلة ، والبسملة ، والحسبلة ، والاستغفار ، ونحو ذلك ، والدعاء بخيري الدنيا والآخرة ويطلق ذكر الله أيضا ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه ، كتلاوة القرآن ، وقراءة الحديث ، ومدارسة العلم ، والتنفل بالصلاة ، ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق ولا يشترط استحضاره لمعناه ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه . وإن انضاف إلى التطق الذكر بالقلب فهو أكمل ، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه ازداد كمالا ، فإن وقع ذلك في عمل صالح مما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالا فإن صح التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال .

وقال الفخر الرازي : المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد ، والذكر بالقلب التفكر في أدلة

الذات والصفات وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها وفي أسرار مخلوقات الله تعالى .

والذكر بالجوارح هو أن تصير مستغرقة في الطاعات ومن ثم سمى الله تعالى الصلاة ذكرا فقال سبحانه : ﴿ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة : ٩] .

ونقل عن بعض العارفين قال : الذكر على سبعة أنحاء : فذكر العينين بالبكاء ، وذكر الأذنين بالإصغاء وذكر اللسان بالثناء ، وذكر اليدين بالعطاء ، وذكر البدن بالوفاء وذكر القلب بالخوف ، والرجاء وذكر الروح بالتسليم والرضاء .

وورد في فضل الذكر أحاديث منها ما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال ؛ قال النبي ﷺ : « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي .. » [1] الحديث .

---

(١) أخرج البخارى [٧٤٠٥] ، ومسلم [٢/٢٦٧٥] عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه

قال القرطبي في المفهم : قيل معنى ظن عبد بي ظن الإجابة =

= عند الدعاء ، وظن القبول عند التوبة ، وظن المغفرة عند الاستغفار وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكاً بصادق وعده . قال ويزيده قوله في الحديث الآخر : « ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة »[1] . قال ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقناً بأن الله يقبله ويغفر له لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد ، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله ، وهو من الكبائر ، ومن مات على ذلك وكل إلى ما ظن ، كما في بعض طرق الحديث المذكور : « فيظن بي عبدي ما شاء » . قال : وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل والغرة وهو يجر إلى مذهب المرجئة .

« وأنا معه إذا دعاني » ؛ أي : بعلم ، وهو كقوله : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] .

وقال قوله : « أنا عند ظن عبدي » المؤمن « بي » قال الطيبي الظن لما كان واسطة بين الشك واليقين استعمل تارة بمعنى =

(١) جزء من حديث رواه الترمذي [٣٤٧٩] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه . وحسنه الألباني

= يقين وذلك إن ظهرت أماراته ، وبمعنى الشك إذا ضعفت علاماته وعلى المعنى الأول قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ ﴾ [البقرة : ٤٦] ؛ أي : يوقنون ، وعلى المعنى الثاني قوله تعالى : ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴾ [القصص : ٣٩] أي : توهموا . والظن في الحديث يجوز إجراؤه على ظاهره ويكون المعنى أنا أعامله على حسب ظنه بي ، وأفعل به ما يتوقعه مني من خير أو شر ، والمراد الحث على تغليب الرجاء على الخوف وحسن الظن بالله كقول عليه الصلاة والسلام : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله »[1] ، ويجوز أن يراد بالظن اليقين ، والمعنى : أنا عند يقينه بي وعلمه بأن مصيره إلي وحسابه علي وأن ما قضيت به له أو عليه من خير أو شر لا مرد له ، لا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت . انتهى .

وقال القاضي : قيل معناه بالغفران له إذا استغفر والقبول إذا تاب والإجابة إذا دعا والكفاية إذا طلبها . وقيل المراد به الرجاء وتأميل العفو وهذا أصح « وأنا معه » أي : بالرحمة =

(١) أخرجه مسلم [٨١/٢٨٧٧] عن جابر رضي الله تعالى عنه .

= والتوفيق والرعاية والهداية والإعانة أما قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] فمعناه : بالعلم والإحاطة .

قال النووي : « فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي » أي ؛ إن ذكرني بالتنزيه والتقديس سراً ذكرته بالثواب والرحمة سراً قاله الحافظ : « وإن ذكرني في ملء » بفتح الميم واللام مهموز أي مع جماعة من المؤمنين أو في حضرتهم ذكرته في ملء خير « يعني الملائكة » المقربين « منهم » أي : من ملء الذاكرين « وإن اقترب إلي شبراً » أي : مقداراً قليلاً . قال الطيبي شبراً وذراعاً وباعاً في الشرط والجزاء منصوب على الظرفية أي من تقرب إلي مقدار شبر « وإن اقترب إلي ذراعاً اقتربت إليه باعاً » هو قدر مد اليدين وما بينهما من البدن « وإن أتاني » حال كونه « يمشي أتيته هرولة » هي الإسراع في المشي دون العدو . قال الطيبي هي حال أي : مهرولاً أو مفعول مطلق لأن الهرولة نوع من الإتيان فهو كرجعت القهقري لكن الحمل على الحال أولى لأن قرينه يمشي حال لا محالة .

قال النووي : هذا الحديث من أحاديث الصفات ويستحيل إرادة ظاهره ، ومعناه : من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي =

= والتوفيق والإعانة ، أو إن زاد زدت ، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة ، أي : صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود ، والمراد : أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه .

ويروى عن الأعمش في تفسير هذا الحديث : « من تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً » يعني : بالمغفرة والرحمة .

قال صاحب تحفة الأحوذي : لا حاجة إلى هذا التأويل .

وقال النووي قوله عز وجل : « أنا عند ظن عبدي بي » قال القاضي : قيل معناه بالغفران له إذا استغفر والقبول إذا تاب والإجابة إذا دعا والكفاية إذا طلب الكفاية .

وقيل : المراد به الرجاء وتأميل العفو وهذا أصح .

قوله تعالى : « وأنا معه حين يذكرني » أي معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ فمعناه بالعلم والإحاطة .

قوله تعالى : « إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي » قال المازري : النفس تطلق في اللغة على معان : منها الدم ، =

= ومنها نفس الحيوان ، وهما مستحيلان في حق الله تعالى ، ومنها الذات ، والله تعالى له ذات حقيقة وهو المراد بقوله تعالى : في نفسي ، ومنها الغيب وهو أحد الأقوال في قوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة : ١١٦] أي : ما في غيبي فيجوز أن يكون أيضا مراد الحديث أي : إذا ذكرني خاليا أثابه الله وجزاه عما عمل بما لا يطلع عليه أحد .

قوله تعالى : « وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم » هذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واحتجوا أيضا بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] فالتقييد بالكثير احتراز من الملائكة ومذهب أصحابنا وغيرهم أن الأنبياء أفضل من الملائكة لقوله سبحانه وتعالى في بني إسرائيل : ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الجاثية : ١٦] والملائكة من العالمين ويتأول هذا الحديث على أن الذاكرين غالبا يكونون طائفة لا تبي فيهم فإذا ذكره الله تعالى في خلائق من الملائكة كانوا خيرا من تلك الطائفة .

ومنها ما أخرجه في صلاة الليل من حديث أبي هريرة أيضا رفعه : « يعقد الشيطان » الحديث وفيه « فإن قام فذكر الله انحلت عقدة » (١) .

ومنها ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد مرفوعا : « لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة » (٢) .

ومن حديث أبي ذر رفعه : « أحب الكلام إلى الله ما اصطفى لملائكته: سبحان الله وبحمده » (٣) .

ومن حديث معاوية رفعه : أنه قال لجماعة جلسوا يذكرون الله تعالى : « أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة » (٤) .

(١) أخرجه البخاري [٣٠٩٦] .
(٢) أخرجه مسلم [٣٩/٢٧٠٠] .
(٣) أخرجه مسلم [٨٤/٢٧٣١] .
(٤) أخرجه مسلم [٤٠/٢٧٠١] .

ومن حديث سمرة رفعه : « أحب الكلام إلى الله أربع : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله . لا يضرك بأيهن بدأت » [1] .

ومن حديث أبي هريرة رفعه : « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس » [2] .

ومن حديث الحارث الأشعري رفعه وفيه : « فآمركم أن تذكروا الله ، وإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعا حتى إذا أتى على حصن حصين أحرز نفسه منهم ، فكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى » [3] .

وعن عبد الله بن بسر : أن رجلا قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به.

قال : « لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله » [4] .

(١) أخرجه مسلم [١٢/٢١٣٧] .
(٢) أخرجه مسلم [٣٢/٢٦٩٥] .
(٣) سبق تخريجه وسيأتي .
(٤) رواه الترمذي [٣٣٧٥] وصححه الألباني .

ومن حديث أنس رفعه : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » . قالوا : وما رياض الجنة قال : « حلق الذكر » [1] .

ومن حديث أبي الدرداء مرفوعا : « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم » قالوا : بلى . قال : « ذكر الله تعالى » [2] .

وطريق الجمع - والله أعلم - أن المراد بذكر الله في حديث أبي الدرداء الذكر الكامل وهو ما يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالتفكر في المعنى واستحضار عظمة الله تعالى وأن الذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار مثلا من غير استحضار لذلك .

وأن أفضلية الجهاد إنما هي بالنسبة إلى ذكر اللسان المجرد فمن اتفق له أنه جمع ذلك كمن يذكر الله بلسانه وقلبه

(١) رواه الترمذي [٣٥١٠] وحسنه الألباني .
(٢) رواه الترمذي [٣٣٧٧] وصححه الألباني .

واستحضاره وكل ذلك حال صلاته أو في صيامه أو تصدقه . أو قتاله الكفار مثلا فهو الذي بلغ الغاية القصوى .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي : ما من عمل صالح إلا والذكر مشترط في تصحيحه فمن لم يذكر الله بقلبه عند صدقته ، أو صيامه ، مثلا فليس عمله كاملا ، فصار الذكر أفضل الأعمال من هذه الحيثية . ويشير إلى ذلك حديث « نية المؤمن أبلغ من عمله » [1] .

وقال الإمام النووى : اعلم أن المذهب المختار الذي عليه الفقهاء والمحدّثون وجماهير العلماء من الطوائف كلها من السلف والخلف: أن الدعاء مستحبّ قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف : ٥٥] والآيات فى ذلك كثيرة مشهورة . وأما الأحاديث الصحيحة فهي أشهر من أن تُشهر وأظهر من أن تُذكر .

(١) رواه القضاعى فى مسند الشهاب [١٤٧] عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه .

وقال الإمام أبى القاسم القشيرىّ رضى الله عنه في الرسالة : اختلفَ الناسُ في أن الأفضل الدعاء أم السكوت والرضا فمنهم من قال: الدعاء عبادة لحديث « الدُّعاءُ هُوَ العِبادَة » [1] ولأنَّ الدعاءَ إظهارُ الافتقار إلى الله تعالى .

وقالت طائفة : السكوت والخمودُ تحت جريان الحكم أتمّ والرضا بما سبق به القدر أولى . وقال قوم : يكون صاحبُ دعاءٍ بلسانه ورضا بقلبه ليأتيَ بالأمرين جميعاً .

قال القشيرى : والأولى أن يُقال : الأوقات مختلفة ففى بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب وفي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب وإنما يُعرف ذلك بالوقت فإذا وجدَ في قلبه إشارةً إلى الدعاء فالدعاءُ أولى به ، وإذا وجد إشارةً إلى السكوت فالسكوتُ أتمّ .

قال : ويصحّ أن يُقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو لله سبحانه وتعالى فيه حقّ فالدعاء أولى لكونه عبادة وإن كان لنفسك فيه حظّ فالسكوت أتمّ .

(١) رواه الترمذى [٣٢٤٤] وأبى داود [١٤٧٩] عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه . وصححه الألبانى .

قال : ومن شرائط الدعاء أن يكون مطعمه حلالاً . وكان يحيى بن معاذ الرازي رضي الله تعالى عنه يقول : كيف أدعوك وأنا عاصٍ وكيف لا أدعوك وأنت كريم .

ومن آدابه : حضور القلب ، وقال بعضهم : المراد بالدعاء إظهارُ الفاقة وإلا فالله سبحانه وتعالى يفعلُ ما يشاء .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي في الإحياء : آدابُ الدعاء عشرة :

الأول : أن يترصّدَ الأزمان الشريفة كيوم عَرَفَة وشهر رمضان ويوم الجمعة والثلث الأخير من الليل ووقت الأسحار .

الثاني : أن يغتنمَ الأحوالَ الشريفة كحالة السجود ، والتقاء الجيوش ، ونزول الغيث وإقامة الصلاة وبعدَها .

قلتُ : وحالة رقّة القلب .

الثالث : استقبالُ القبلة ، ورفعُ اليدين ويمسحُ بهما وجهه في آخره .

الرابع : خفضُ الصوت بين المخافتة والجهر.

الخامس : أن لا يتكلّف السجعَ وقد فسَّر به الاعتداء في الدعاء ، والأولى : أن يقتصر على الدعوات المأثورة فما كل أحد يُحسن الدعاءَ فيخاف عليه الاعتداء .

وقال بعضهم : ادعُ بلسان الذلّة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويُقال : إن العلماء والأبدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات ويشهد له ما ذكره الله سبحانه وتعالى في آخر سورة البقرة ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] لم يخبر سبحانه في موضع عن أدعية عباده بأكثر من ذلك .

قلتُ : ومثلهُ قول الله سبحانه وتعالى في سورة إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] . قلتُ : والمختار الذي عليه جماهير العلماء أنه لا حجرَ في ذلك ولا تُكرهُ الزيادةُ على السبع بل يُستحبّ الإكثارُ من الدعاء مطلقاً .

السادس : التضرّعُ والخشوعُ والرهبة قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا

﴿ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩٠] وقال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف : ٥٥] .

السابع : أن يجزمَ بالطلب ويُوقن بالإجابة ويصدقَ رجاءه فيها ودلائلُه كثيرةٌ مشهورة . قال سفيان بن عُيينة رحمه الله : لا يمنعنّ أحدَكم من الدعاء ما يعلمُه من نفسه فإن الله تعالى أجاب شرّ المخلوقين إبليس إذ ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝ ﴾ [الأعراف] .

الثامن : أن يُلِحّ في الدعاء ويكرّره ثلاثاً ولا يستبطئ الإجابة .

التاسع : أن يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى .

قلتُ: وبالصلاة على رسول الله ﷺ بعد الحمد لله تعالى والثناء عليه ويختمه بذلك كله أيضاً .

العاشر : وهو أهمّها والأصل في الإجابة وهو التوبةُ وردُّ المظالم والإقبال على الله تعالى .

ومن أحسن ما جاءَ عن السلف في الدعاء ما حُكي عن

الأوزاعيّ رحمه الله تعالى قال : خرج الناسُ يستسقون فقام فيهم بلالُ بن سعد فحمدَ الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : يا معشر مَن حضر! ألستم مقرّين بالإساءة قالوا : بلى فقال : اللّهمّ إنّا سمعناك تقول : ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ [التوبة : ٩١] وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا ، اللّهمّ اغفر لنا وارحمنا واسقنا ، فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسُقوا .

وفي معنى هذا قيل :

أنا المُذْنبُ الخَطّاءُ والعفوُ واسعٌ ولو لم يكنْ ذنبٌ لما وقعَ العَفْوُ

وهذا الكتاب : « الحصن الحصين » جمعنا فيه شذرات من خواطر إمام الدعاة وشيخ المفسرين في عصره العلامة الشيخ الإمام « محمد متولي الشعراوي » عن ذكر الله تعالى ، وفضله ، وموجبات قبول الدعاء . وقد أضفنا إليه الدعوات التي قام فضيلته بتسجيلها لإذاعة القرآن الكريم بعد ضبطها وتحقيقها والتعليق عليها وشرح الغريب من ألفاظها .

والله تعالى أسأل أن يجزى فضيلته عنا وعن المسلمين خير الجزاء وأن يجعل ذلك فى ميزان حسناته وأن ينفع به قارئه وكاتبه إنه سبحانه سميع قريب مجيب . وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وأزواجه ، وأصحابه والتابعين .

والحمد لله رب العالمين .

ربيع الأول ١٤٢٢ هـ — عبد الله حجاج

يونيه ٢٠٠١ م

○○○

اذكرونى أذكركم

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

قوله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِيٓ ﴾ أى : كل هذه النعم والفضل عليكم يجب ألا تنسوها ، وأن تعيشوا دائماً فى ذكر من أنعم عليكم ؛ فالله سبحانه وتعالى يريد من عباده الذكر ، وهم كلما ذكروه سبحانه وشكروه ، شكرهم وزادهم ، قال سبحانه : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

وفى الحديث القدسى يقول تعالى : « أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم ، وإن تقرَّب منى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرَّب إلىَّ ذارعاً تقربت منه باعاً ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة »[1] .

---

(١) أخرجه البخارى [٧٤٠٥] ، ومسلم [٢/٢٦٧٥] واللفظ له ، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

وقال رسول صلى الله عليه وسلم : « وآمركم أن تذكروا =

= اللَّه ، فإن مثل ذلك مثل رجل خرج العدو فى أثره سراعاً ، حتى إذا أتى إلى حصن حصين ؛ فأحرز نفسه منهم ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان ؛ إلا بذكر اللَّه » [1] .

قال ابن القيم : ولو لم يكن فى الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة ؛ لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه عن ذكر اللَّه تعالى ، وأن لا يزال لهجاً بذكره ، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر ، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة ، فهو يرصده ، فإذا غفل وثب عليه وافترسه ، وإذا ذكر اللَّه تعالى ؛ انخنس عدو اللَّه ، وتصاغر ، وانقمع ، حتى يكون كالوصع [2] ، وكالذباب ، ولهذا سمى الوسواس الخنَّاس =

(١) جزء من حديث طويل رواه أحمد فى المسند [٤/١٣٠] ، والترمذى [٢٨٦٣] وقال : حديث حسن صحيح غريب ، وابن حبان فى صحيحه [٦٢٣٣] ، وأبو يعلى فى مسنده [١٥٧١] ، والحاكم فى المستدرك [١/٤٢١] وصححه ، ووافقه الذهبى . وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢٢٩٢] من حديث الحارث الأشعرى رضى اللَّه تعالى عنه .

(٢) طائر أصغر من العصفور .

= أى : يوسوس فى الصدور ، فإذا ذُكر اللَّه تعالى ؛ خنس .

أى : كف وانقبض .

وقال ابن عباس : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل ؛ وسوس ، فإذا ذكر اللَّه تعالى ؛ خنس [1] .

وعن أبى هريرة قال : كان رسول اللَّه ﷺ يسير فى طريق مكة ، فمر على جبل يقال له : جُمْدان ، فقال : « سيروا ، هذا جُمْدانُ ، سبَقَ المُفَرِّدون » .

قيل : وما المفردون يا رسول اللَّه ؟ =

(١) أخرجه البخارى معلقاً فى كتاب التفسير ، تفسير سورة الناس بلفظ : « الوسواس إذا وُلد خنسه الشيطان ، فإذا ذكر اللَّه عز وجل ذهب ، وإذا لم يذكر اللَّه ثبت على قلبه . ورواه الحاكم فى المستدرك [٢/٥٤١] وصححه ، ووافقه الذهبى . وقال الحافظ فى الفتح [٩/٧٦٩] : كذا لأبى ذر ، ولغيره . ويُذكر عن ابن عباس ، وكأنه أولى ؛ لأن إسناده إلى ابن عباس ضعيف ، رواه الطبرى والحاكم ، وفى إسناده حكيم ابن جبير وهو ضعيف .

= قال : « الذَّاكِرونَ اللَّه كثيراً والذَّاكِراتُ »[1] .

وعن أبي هريرة رضى اللَّه تعالى عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « مَا مِن قومٍ يقومونَ مِن مجلسٍ لا يذكرون اللَّه تعالى فيه ؛ إلا قاموا عن مِثْلِ جِيفةِ حمارٍ ، وكانَ عليهم حَسْرةً »[2] .

وفي رواية الترمذي : « ما جَلَسَ قوم مجلساً لم يذكروا اللَّه فيه ، ولم يُصَلُّوا على نبيِّهم ؛ إلا كان عليهم تِرَةً ، فإن شاءَ ؛ عذَّبَهم ، وإن شاء ؛ غَفَرَ لهم »[3] .

وعن الأغرِّ أبي مسلم قال : أشهد على أبي هريرة =

(١) أخرجه مسلم [٤/٢٦٧٦] .

(٢) رواه أبو داود [٤٨٥٥] ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٤٠٦٤] ، وأحمد في المسند [٢/٣٨٩، ٤٩٤، ٥٢٧] ، والحاكم في المستدرك [١/٤٩٢] وسكت عنه ، وسكت عنه الذهبي .

(٣) رواه الترمذي [٣٤٤٠] ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي [٢٦٩١] . وأحمد في المسند [٢/٤٤٦، ٤٥٣، ٤٨١، ٤٩٥] والحاكم في المستدرك [١/٤٩٢] عن أبي هريرة رضي اللَّه تعالى عنه .

= وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول اللَّه ﷺ : أنه قال : « لا يقعدُ قومٌ في مجلسٍ يذكرون اللَّه فيه ؛ إلا حَفَّتْهُمُ الملائكةُ ، وغَشِيَتْهُمُ الرحمةُ ، ونزلت عليهم السكينةُ وذكرهُمُ اللَّه فيمن عنده »[1] .

وعن عبد اللَّه بن بسر أن رجلًا قال : يا رسول اللَّه ! إن أبواب الخير كثيرة ، ولا أستطيع القيام بكلِّها ، فأخبرني بما شئت أتشبَّثُ به ، ولا تكثر عليَّ فأنسى .

وفي رواية : إن شرائعَ الإسلامِ قد كَثُرَتْ عليَّ ، وأنا قد كبرتُ ، فأخبرني بشيء أتشبثُ به .

قال : « لا يزالُ لِسانُكَ رَطْباً بذكرِ اللَّه تعالى »[2] . =

(١) أخرجه مسلم [٣٩/٢٧٠٠] بدون قوله : « في مجلس » . عن أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري رضي اللَّه تعالى عنهما .

(٢) رواه الترمذي [٣٣١٥] ، وابن ماجه [٣٧٩٣] ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي [٢٦٨٧] . ورواه الحاكم في المستدرك [١/٤٩٥] وصححه ووافقه الذهبي ، وابن حبان في صحيحه [٨١٤] ، عن عبد اللَّه بن بُسر رضي اللَّه تعالى عنه . وقال الأرناؤوط : إسناده قوي .

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الذي يذكرُ ربه والذي لا يذكرُ ربَّهُ مَثَلُ الحيِّ والميِّت» (١).

وعن أنس أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا مَرَرْتُم برياضِ الجنَّةِ فارْتَعوا». قالوا: يا رسول الله وما رياضُ الجنة؟ قال: «حِلَقُ الذِّكرِ» (٢).

فأفضل الذاكرين: المجاهدون، وأفضل المجاهدين: الذاكرون.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال ٤٥].

فأمرهم بالذكر الكثير والجهاد معاً؛ ليكونوا على رجاء من الفلاح. وقد قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

أي: كثير. =

(١) أخرجه البخاري [٦٤٠٧]، ومسلم [٧٧٩/٢١١].

(٢) رواه الترمذي [٣٥٠٩] وقال الألباني في صحيح الترمذي [٢٧٨٧]: حسن.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

ففيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة؛ لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله.

وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة، ثم أعرض عنه لحظة؛ لكان ما فاته أعظم مما حصَّله.

وعن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من ساعةٍ تمُرُّ بابنِ آدمَ لا يذكُرُ اللهَ تعالى فيها إلا تحسَّرَ عليها يومَ القيامة» (١).

وذكر عن معاذ بن جبل يرفعه أيضاً: «ليس تحسُّرُ أهل الجنة إلا على ساعةٍ مرَّت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها» (٢). =

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان [٥١١] وأبو نعيم في الحلية [٣٦٢،٣٦١/٥].

(٢) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة [٣]، والطبراني في الكبير [١٨٢/٢٠]، والبيهقي في شعب الإيمان [٥١٣،٥١٢] بلفظ: «ليس يتحسر أهل الجنة ...». =

= وعن معاذ بن جبل قال : سألتُ رسول الله ﷺ : أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله عز وجل ؟ قال : « أن تموتَ ولسانُكَ رطبٌ من ذكرِ الله عز وجل » [1] .

وقال أبو الدرداء رضيَ الله تعالى عنه : لكل شيء جِلاء ، وإنَّ جِلاءَ القلوبِ ذكرُ الله عز وجل . ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما ، فجلاؤه بالذكر ، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء ، فإذا ترك صدئ ، فإذا ذكره جلاه . =

= وقال الهيثمي في المجمع [٧٧/١٠] : رواه الطبراني ورجاله ثقات ، وفي شيخ الطبراني محمد بن إبراهيم الصوري خلاف .

(١) رواه ابن حبان [٨١٨] ، والبزار [٢٠٧١] ، والطبراني في الكبير [١٨١/٢٠، ٢٠٨، ٢١٢] وقال الهيثمي في المجمع [٧٧/١٠] : رواه الطبراني بأسانيد ، وفي هذه الطرق خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك ، وضعفه جماعة ، ووثقه أبو زرعة الدمشقي وغيره ، وبقية رجاله ثقات .

= وصدأ القلب بأمرين : بالغفلة والذنب .

وجلاؤه بشيئين : بالاستغفار والذكر .

فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته ؛ كان الصدأ متراكباً على قلبه ، وصدؤه بحسب غفلته ، وإذا صدئ القلب ؛ لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه ، فيرى الباطل في صورة الحق ، والحق في صورة الباطل ؛ لأنه لمَّا تراكم عليه الصدأ أظلم ، فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه .

فوائد الذكر :

إحداها : أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره .

الثانية : أنه يرضي الرحمن عز وجل .

الثالثة : أنه يزيل الهم والغم عن القلب .

الرابعة : أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط .

الخامسة : أنه يقوّي القلب والبدن .

السادسة : أنه ينوّر الوجه والقلب .

السابعة : أنه يجلب الرزق .

الثامنة : أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة .

التاسعة : أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام ، وقطب =

= رحى الدين ، ومدار السعادة والنجاة .

العاشرة : أنه يورثه المراقبة ؛ حتى يدخله فى باب الإحسان ، فيعبد الله كأنه يراه .

الحادية عشرة : أنه يورثه الإنابة ، وهى الرجوع إلى الله عز وجل .

الثانية عشرة : أنه يورثه القرب من الله عز وجل .

الثالثة عشرة : أنه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة .

الرابعة عشرة : أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله ؛ لشدة استيلائه على قلبه .

الخامسة عشرة : أنه يورثه ذكر الله تعالى له ؛ كما قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ . ولو لم يكن فى الذكر إلا هذه وحدها ؛ لكفى بها فضلاً وشرفاً .

السادسة عشرة : أنه يورث حياة القلب .

السابعة عشرة : أنه قوت القلب والروح .

الثامنة عشرة : أنه يورث جلاء القلب من صداه .

التاسعة عشرة : أنه يحط الخطايا ويذهبها . =

= **العشرون** : أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه .

الحادية والعشرون : أن ما يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله ، وتسبيحه ، وتحميده ؛ يذكر بصاحبه عند الشدة .

الثانية والعشرون : أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره فى الرخاء عرفه فى الشدة .

الثالثة والعشرون : أنه ينجى من عذاب الله .

الرابعة والعشرون : أنه سبب تنزيل السكينة ، وغشيان الرحمة ، وحفوف الملائكة بالذاكر ؛ كما أخبر به النبى ﷺ .

الخامسة والعشرون : أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة ، والنميمة ، والكذب ، والفحش ، والباطل .

السادسة والعشرون : أن مجالس الذكر مجالس الملائكة .

السابعة والعشرون : أنه يسعد الذاكر بذكره ، ويسعد به جليسه .

الثامنة والعشرون : أنه يؤمِّن العبد من الحسرة يوم القيامة .

التاسعة والعشرون : أنه مع البكاء فى الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر فى ظل عرشه .

الثلاثون : أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطى السائلين . =

= **الحادية والثلاثون** : أنه أيسر العبادات ، وهو من أجلّها وأفضلها .

الثانية والثلاثون : أنه غراس الجنة .

الثالثة والثلاثون : أن العطاء والفضل الذى رتّب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال .

الرابعة والثلاثون : أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه ، الذى هو سبب شقاء العبد فى معاشه ومعاده .

الخامسة والثلاثون : أن الذكر يسيّر العبد وهو فى فراشه ، وفى سوقه ، وفى حال صحته وسقمه ، وفى حال نعيمه ولذته ، وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله .

السادسة والثلاثون : أن الذكر نور للذاكر فى الدنيا ، ونور له فى قبره ، ونور له فى معاده ، يسعى بين يديه على الصراط .

السابعة والثلاثون : أن الذكر رأس الأصول ، وطريق عامة الطائفة ، ومنشور الولاية ، فمن فُتح له فيه ؛ فقد فُتح له باب الدخول إلى الله عز وجل .

الثامنة والثلاثون : فى القلب خَلَّة وفاقة لا يسدُّها =

= شيء البتة إلا ذكر الله عز وجل .

التاسعة والثلاثون : أن الذكر يجمع المتفرّق ، ويفرّق المجتمع ، ويقرّب البعيد ، ويبعد القريب .

الأربعون : أن الذكر ينبه القلب من نومه ، ويوقظه من سِنَتِهِ .

الحادية والأربعون : أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التى ثمر إليها السالكون .

الثانية والأربعون : أن الذاكر قريب من مذكوره ، ومذكوره معه ، وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة التامة ، فهى معية بالقرب ، والولاية ، والمحبة ، والنصرة ، والتوفيق .

الثالثة والأربعون : أن الذكر يعدل عتق الرقاب ، ونفقة الأموال ، والحمل على الخيل فى سبيل الله عز وجل ، ويعدل الضرب بالسيف فى سبيل الله عز وجل .

الرابعة والأربعون : أن الذكر رأس الشكر ، فما شكرَ الله تعالى من لم يذكره .

الخامسة والأربعون : أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رَطباً بذكره ، فإنه اتقاه فى أمره ونهيه ، وجعل ذكره شعاره .

السادسة والأربعون : أن فى القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى . =

= **السابعة والأربعون** : أن الذكر شفاءُ القلب ودواؤه .

الثامنة والأربعون : أن الذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها .

التاسعة والأربعون : أنه ما اُستُجليت نعم الله عز وجل واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله تعالى ، فالذكر جلّاب للنعم ، دافع للنقم .

الخمسون : أن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر .

الحادية والخمسون : أن من شاء أن يسكن رياض الجنة فى الدنيا ؛ فليتوطن مجالس الذكر ، فإنها رياض الجنة .

الثانية والخمسون : أن مجالس الذكر مجالس الملائكة .

الثالثة والخمسون : أنَّ الله عز وجل يباهى بالذاكرين ملائكته .

الرابعة والخمسون : أن مُدْمِنَ الذِّكر يدخل الجنة وهو يضحك .

الخامسة والخمسون : أن جميع الأعمال إنما شُرعت إقامةً لذكر الله تعالى . =

= **السادسة والخمسون** : أن أفضل أهل كلِّ عملٍ أكثرهم فيه ذِكراً لله عز وجل .

السابعة والخمسون : أن إدامته تنوب عن التطوعات ، وتقوم مقامها .

الثامنة والخمسون : أن ذكر الله عز وجل من أكبر العون على طاعته .

التاسعة والخمسون : أن ذكر الله عز وجل يُستهلُ الصعب ، ويُيَسِّر العسير ، ويُخَفِّفُ المشاقَّ . فما ذُكر الله عز وجل على صعب إلا هان .

الستون : أن ذكر الله عز وجل يُذهب عن القلب مخاوفه كلها .

الحادية والستون : أن الذكر يعطى الذَّاكر قوة ، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه .

الثانية والستون : أن عُمَّال الآخرة كلَّهم فى مضمار السباق ، والذاكرون هم أسبقهم فى ذلك المضمار .

الثالثة والستون : أن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده . =

= **الرابعة والستون** : أن دُورَ الجنَّةِ تُبنى بالذكر ، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر ؛ أمسكت الملائكة عن البناء .

الخامسة والستون : أنَّ الذكر سدٌّ بين العبد وبين جهنم .

السادسة والستون : أن الملائكة تستغفر للذاكر ؛ كما تستغفر للتائب .

السابعة والستون : أنَّ الجبال والقِفارَ تتباهى وتستبشرُ بمن يذكرُ اللَّه عز وجل عليها .

الثامنة والستون : أنَّ كثرة ذكر اللَّه عز وجل أمان من النفاق .

التاسعة والستون : أن للذكر من بين الأعمال لذةً لا يشبهها شيء .

السبعون : أنه يكسو الوجه نضرةً في الدنيا ، ونوراً في الآخرة .

الحادية والسبعون : أن في دوام الذكر في الطريق ، والبيت ، والحضر ، والسفر ، والبقاع ، تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة .

الثانية والسبعون : أن في الاشتغال بالذكر اشتغالاً عن الكلام الباطل .
=

الثالثة والسبعون : إشارة إلى حديث الحارث[1] الأشعرى : أن الشياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه ، فما ظنك برجل قد احتوشته أعداؤه المحتفون عليه غيظاً ، وأحاطوا به ، وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشرِّ والأذى ؟! ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر اللَّه عز وجل .

الرابعة والسبعون : **الذكر نوعان** :

أحدهما : ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته ، والثناء عليه بهما وتنزيهه تبارك وتعالى ، وتقديسه عما لا يليق به وهذا أيضا نوعان : أحدهما : إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر ، وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث ، نحو : « سبحان اللَّه ، والحمد للَّه ، ولا إله إلا اللَّه ، واللَّه أكبر » ، و « سبحان =

(١) رواه أحمد في المسند [٤/١٣٠] ، والترمذى [٢٨٦٣] ، وقال حديث حسن صحيح غريب ، وابن حبان في صحيحه [٦٢٣٣] ، وأبو يعلى في مسنده [١٥٧١] ، والحاكم في المستدرك [١/٤٢١] ، وصححه ووافقه الذهبى ، وصححه الألبانى في صحيح الترمذى [٢٢٩٢] .

= اللَّه وبحمده » ، و« لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » .

والثاني [1] : الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته ، نحو قولك : اللَّه عز وجل يسمع أصوات عباده ، ويرى حركاتهم ، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم ، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم ، وهو على كل شيء قدير ، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته إذا وجدها ، ونحو ذلك [2] . =

(١) وهو النوع الثاني من النوع الأول من ذكر أسماء الرب تعالى .

(٢) عن النعمان بن بَشير قال : « للَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ حَمَلَ زَادَهُ عَلَى بَعِيرٍ ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى كَانَ بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ ، فَأَدْرَكَتْهُ القَائِلَةُ ، فَنَزَلَ فَقَالَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ وَانْسَلَّ بَعِيرُهُ ، فَاسْتَيْقَظَ فَسَعَى شَرَفًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا . ثُمَّ سَعَى شَرَفًا ثَانِيًا فَلَمْ يَرَ شَيْئاً ، ثُمَّ سَعَى شَرَفاً ثَالِثًا فَلَمْ يَرَ شَيْئاً ، فَأَقْبَلَ حَتَّى أَتَى مَكَانَهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ قَاعِدٌ إِذْ جَاءَهُ بَعِيرُهُ يَمْشِي حَتَّى وَضَعَ خِطَامَهُ فِي يَدِهِ . فَللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ العَبْدِ ، مِنْ هذا حِينَ وَجَدَ بَعِيرَهُ عَلَى حَالِهِ » . أخرجه البخاري [٦٣٠٨] عن عبد اللَّه بن مسعود ، وأخرجه مسلم [٥/٢٧٤٥] واللفظ له .

= **وأفضل هذا النوع** : الثناء عليه بما أثنى به على نفسه ، وبما أثنى به عليه رسوله ﷺ ؛ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل . وهذا النوع أيضاً ثلاثة أنواع : حَمْدٌ ، وثناءٌ ، ومَجْدٌ .

النوع الثاني من الذِّكر : [1] ذِكْر أمره ونهيه وأحكامه ، وهو أيضا نوعان :

أحدهما : ذكره بذلك إخباراً عنه بأنه أمر بكذا ، ونهى عن كذا ، وأحب كذا ، وسخط كذا ، ورضي كذا .

والثاني : ذكره عند أمره ، فيبادر إليه ، وعند نهيه ، فيهرب منه ، فذكر أمره ونهيه شيء ، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر ، فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر ؛ فذِكْره أفضل الذكر ، وأجلُّه ، وأعظمُه .

الخامسة والسبعون : الذكر أفضل من الدعاء .

السادسة والسبعون : قراءة القرآن أفضل من الذِّكر ، والذِّكر أفضل من الدعاء ، هذا من حيث النظر لكل منهما مجرداً .=

(١) وهو النوع الثاني من الذكر المذكور في الفائدة الرابعة والسبعين

إن الله سبحانه وتعالى يريدك أن تكون أهلاً للعطاء؛ لأنه يريد أن يعطيك أكثر وأكثر ، فقوله تعالى : ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ ﴾ أى

= وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل ، بل يعينه ، فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل ، وهذا كالتسبيح فى الركوع والسجود ، فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما ، بل القراءة فيهما منهيٌ عنها نهى تحريم أو كراهة ، وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة - ذكر التهليل ، والتسبيح ، والتكبير ، والتحميد - أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة ، وكذلك إجابة المؤذن ، والقول كما يقول أفضل من القراءة ، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله تعالى على خلقه ، لكن لكل مقام مقال ، متى فات مقاله فيه ، وعدل عنه إلى غيره ؛ اختلت الحكمة ، وفقدت المصلحة المطلوبة منه . وهكذا الأذكار المقيدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة ، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة ، اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن .

الوابل الصيب [٧٢ : ١٨٦] بتصرف .

اذكروا الله فى كل شىء ، فى نعمه ، فى عطائه ، فى ستره ، فى رحمته ، فى توبته .

يقول بعض الصالحين : إذا ما أقبلت على شُرب الماء فقسّمه ثلاثاً ، أول جرعة قل : بسم الله واشربها ، ثم قل : الحمد لله . وابدأ شرب الجرعة الثانية وقل : بسم الله وبعد الانتهاء منها قل : الحمد لله . ثم قل : بسم الله واشرب الجرعة الثالثة واختمها بقولك : الحمد لله ؛ فما دام هذا الماء فى جوفك فلن تحدثك ذرة من جسدك بمعصية الله ، جربها يوماً فى نفسك وقل : بسم الله واشرب ، وقل : الحمد لله وكررها ثلاث مرات فإنك تكون قد استقبلت النعمة بذكر المنعِم ، وأبعدت عن نفسك حولك وقوتك ، وأنهيت النعمة بحمد الله . ولكن لماذا الماء ؟ .. لأن الماء فى الجوف أشبع من أى شىء آخر .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ الشكر على النعمة يجعل الله سبحانه وتعالى يزيدك منها ؛ واقرأ قوله تبارك وتعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

وشكر الله يُذهبُ الغرور عن نفسك ؛ حتى لا تفتنك الأسباب.

وتقول : أوتيته على علم عندى (١) .

(١) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [القصص] .

قال ابن القيم : قول الله تعالى ذكره : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ أى : على علم عَلِمَه الله عندى أستحق به ذلك وأستوجبه وأستأهله ، قال الفراء : أى على فضل عندى أنى كنت أهله ومستحقًّا له إذ أُعطيته . وقال مقاتل : يقول : على خير علمه الله عندى . وذكر عبد الله بن الحارث بن توفل =

= سليمان بن داود – النبى – فيما أوتى من الملك ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [النمل : ٤٠] ولم يقل هذا من كرامتى . ثم ذكر قارون وقوله : ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ ، يعنى أن سليمان رأى ما أوتيه من فضل الله عليه ومنته ، وأنه ابتلى به فشكره ، وقارون رأى ذلك من نفسه واستحقاقه . وكذلك قوله سبحانه : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ [فصلت : ٥٠] ، أى : أنا أهله وحقيق به فاختصاصى به كاختصاص المالك بملكه .

ولهذا قال فى قصة قارون : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾ .

فلو كان إعطاء المال والقوة والجاه يدل على رضاء الله سبحانه عمن آتاه ذلك ، وشرف قدره وعلو منزلته عنده ، لما أهلك من آتاه من ذلك أكثر مما آتى قارون ، فلما أهلكهم مع سعة هذا العطاء وبسطته ، علم أن عطاءه إنما كان ابتلاء وفتنة ، لا محبة ورضاً واصطفاء لهم على غيرهم . بدائع التفسير [٣/٣٥٧ ، ٣٥٨] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ أي : لا تستروا نِعَمَ اللَّه؛ بل اجعلوها دائماً على ألسنتكم ؛ فإن كل نعمة من نعم الله لو استقبلت بقول : ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ فلا ترى في النعمة مكروها أبداً ؛ لأنك حصنت النعمة بسياج المنعم ، وأعطيت لله حقه في نعمته ، فإن لم تفعل وتركتها كأن موجدها منك ، ونسيت المنعم – وهو الله سبحانه وتعالى – فإن النعمة تتركك [1] .

(١) قال القرطبي في قوله تعالى : ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾
قال الفراء يقال : شكرتك وشكرت لك ، ونصحتك ونصحت لك ؛ والفصيح الأول . والشكر معرفة الإحسان والتحدّث به ؛ وأصله في اللغة : الظهور . فشكر العبد لله تعالى : ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه ، وشكر الحق سبحانه للعبد : ثناؤه عليه بطاعته له ، إلا أن شكر العبد نطقٌ باللسان وإقرارٌ بإنعام الربّ مع الطاعات .
قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ نَهْيٌ ؛ ولذلك حُذفت منه نون الجماعة ، وهذه نون المتكلم . وحذفت الياء لأنها رأس آية ، وإثباتها أحسن في غير القرآن ؛ أي : لا تكفروا نعمتي وأيادي فالكفر هنا ستر النعمة لا التكذيب . تفسير القرطبي [٢/١٧٣] .

ذكر الله سراً وجهراً

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] الذكر هو مرور الشيء على الخاطر إذا كان في داخل نفسك ولا يسمعه غيرك فيكون ذكراً في النفس أو في السر ، فإن كان يسمعه غيرك يكون جهراً ، وإذا كان بالإزعاج والإقلاق يكون ممنوعاً [1] .

(١) يستحب خفض الصوت بالذكر لما أخرجه مسلم [٤/٢٧٠٤]
عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه ، قال : كنا مع النبي ﷺ في سَفَر ، فجعل الناس يجهرون بالتكبير ، فقال النبي ﷺ : « أيها الناس ! اربَعُوا على أنفُسِكُم ؛ إنكم ليس تَدْعُونَ أصَمَّ ولا غائبًا ، إنكم تدعون سميعًا قريباً ، وهو معكم » .
قال وأنا خلفه وأنا أقول : لا حول ولا قوة إلا بالله .
فقال : « يا عبد الله بن قيس ! ألا أدُلُّك على كَنْزٍ من كنوز الجنة ؟ » .
فقلت : بلى يا رسول الله !
قال : « قل : لا حولَ ولا قُوةَ إلا بالله » .

إذن ، فعندما تحرك لسانك بالذكر دون أن تحدث صوتاً يكون فى السر وإذا سمعه الغير يكون فى الجهر ، والجهر منه المقبول ومنه غير المقبول الذى يزعج الناس .

قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ ﴾ وقوله : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ذكر الله يكون فى القيام بما كلفنا به ؛ لأن الله هو المعبود ، وهو المطاع فى أوامره ونواهيه ، هذا عن ذكر الله .

أما قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ ﴾ أى الذى خلقك وأعطاك كل النعم ، فلله عطاء ربوبية لكل الناس هو النعم التى أوجدها لهم فى هذه الحياة الدنيا وإذا كنت أنت تذكر أباك لأنه يحقق لك جزءاً من رغباتك ويأتى لك ببعض ما تحب فإذا غاب الأبُ سألت عنه ، فكيف بالله سبحانه وتعالى - ولله سبحانه المثل الأعلى - إذا لم تطعه فى التكليف الذى يطلبه منك ، وأنت لا ترغب إليه بسبب النعم التى سخرها لك فماذا بقى لك ؟!

أنت حين يكون عندك أولاد وتعطيهم مصروفاً كل شهر لا يحرصون على أن يروك إلا أول كل شهر ، فإذا أعطيت لهم المصروف كل يوم حرصوا على رؤيتك يوميًا .

فإذا كان الله سبحانه وتعالى يعطى لك الخير كله فى كل لحظة من لحظات حياتك ، فى نفسك وفى بيتك وأولادك وعملك أفلا تذكره دائماً ؟! (١) .

(١) روى الترمذى [٣٣٧٥] عن عبد الله بن بسر رضى الله تعالى عنه قال : إن رجلًا قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشىء أتشبث به ، قال : « لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله » . وقال حديث حسن غريب . وابن ماجه [٣٧٩٣] ، وأحمد فى المسند [٤/١٨٨/١٩٠] وابن حبان فى صحيحه [٨١٤] وقال الأرناؤوط : إسناده قوى . وليس معنى ذلك تركك الاشتغال بأمور الدنيا ، فقد أخرج مسلم [١٢/٢٧٥٠] عن حنظلة الأُسيدى رضى الله تعالى عنه قال : لقينى أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟

قال : قلت : نافق حنظلة .

قال : سبحان الله ! ما تقول ؟

قال : قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يُذكرنا بالنار والجنة حتى كأنَّا رأى عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا .

قال أبو بكر : فوالله ! إنا لنَلْقَى مثل هذا . =

واعلم أن من شغله القرآن وذكر اللّه تعالى أعطاه اللّه أفضل ما يعطى السائلين (١) .

= فانطلقت أنا وأبو بكر ، حتى دخلنا على رسول اللّه ﷺ .

قلت : نَافَقَ حنظلة يا رسول اللّه ! فقال رسول اللّه ﷺ : « وما ذاك ؟ »

قلت : يا رسول اللّه تكون عندك تُذَكِّرُنَا بالنار والجنة حتى كأنّا رأى عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا .

فقال رسول اللّه ﷺ : « والذى نفسى بيده ! إن لو تَدُومُونَ على ما تكونون عندى ، وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فُرُشِكُم وفى طُرُقِكم ولكن يا حنظلة ! ساعة وساعة » ثلاث مرات .

(١) روى الترمذى [٢٩٢٦] عن أبى سعيد رضى اللّه تعالى عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « يقول الرب عز وجل : من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام اللّه على سائر الكلام كفضل اللّه على خلقه » . وقال هذا حديث حسن غريب . وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى [٥٦٢] وانظر الضعيفة [١٤٤٦] .

وذكر اللّه يكون : « تضرعاً وخيفة » . والتضرع : هو الذِلّةُ له سبحانه . ذلة العبودية لمقام الربوبية ، والخيفة : أى الخوف من غضبه وعقابه ، ولكن لماذا يكون التضرع للّه بالذلة ؟! لأنى كلما كنت ذليلاً للّه ازددت عزًّا فى الدنيا ، وعبودية البشر للبشر مكروهة لماذا ؟ لأنها تعطى خير العبد لسيده ، ولكن عبوديتك للّه تعالى تعطى خير اللّه سبحانه لك ، ولذلك عندما يريد الحق سبحانه وتعالى أن يمتنَّ عليك فإنه يمتنُّ عليك برتبة العبودية ؛ لأنها مرتبةٌ عالية ، وفى ذلك يقول الشاعر :

حسْبُ نفسى عزًّا بأنّى عبدٌ ... يَحتفى بى بلا مواعيدُ ربُّ

هُو فى قدسِهِ الأعزُّ ولكن ... أنا ألقَاهُ متى وأينَ أُحِبُّ

أى أنه من عز العبودية للّه تعالى أنك تقابله فى أى وقت تشاء ، وأنك أنت الذى تُنهى المقابلة وليس هو ، فهو سبحانه يعطيك حرية أن تلقاه متى شئت وأين تحب ، فعندما تقوم للصلاة مثلاً وتُكَبِّر ، يستقبلك فى حضرته ، وتقف بين يديه فتناجيه وتسأله وتستعين به ، ومهما طال مقامك بين يديه ووقوفك بحضرته ، فلا يملُّ سبحانه منك ، بل يفيض عليك

من أنواره القدسية ، ويكسوك من حلل المهابة ما تسمو به روحك ويطهر به قلبك وتسعد به جوارحك ، وتحتفى بك ملائكته ، كل ذلك إلى أن تقوم أنت بإنهاء تلك المقابلة بقولك : « السلام عليكم ورحمة الله » ، وكأنك كنت فى حضرته العليا غائباً عن واقعك الأرضى ، فلما عدت إليه : سلمت عن يمينك وعن شمالك .

الحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ ﴾ أى : ربك أنت يا محمد ، ولم يقل : رب العالمين ؛ ليخص بالشرف الرفيع رسول الله ﷺ . وقول الحق سبحانه : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] أى : بذلة ﴿ وَخِيفَةً ﴾ أى : خائفاً ﴿ وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ أى : دون إزعاج ، وبعض الناس يعتقد أن قول الحق سبحانه ﴿ فِى نَفْسِكَ ﴾ معناه : « فى بالك » ، نقول له : لا . لأن الله لم يجعل دليل عنايته بك ورحمته بك خارجاً عنك ، وهذا الدليل ليس فى الكون فقط ولكنه داخل نفسك فى خلقك أنت ، فإذا لم تكن تلتفت إلى آيات الكون فالتفت إلى نفسك ، إلى خلقك ، إلى الإبداع فيك ، والمعجزة فيك .

لذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢١] إذن .. فالحق سبحانه وتعالى لم يجعل دليل الإعجاز فى الكون الذى حولك فقط بل جعله فى نفسك أيضاً ، فإذا كان الكون عالماً محيطاً بك قد تغفل عنه ، فأنت لا تغفل عن نفسك أبداً (١) .

(١) قال ابن القيم : فأعد الآن النظر فيك وفى نفسك مرة ثانية ، من الذى دبرك بألطف التدبير ، وأنت جنين فى بطن أمك ، فى موضع لا يَدَ تنالُكَ ، ولا بصر يدركك ، ولا حيلة لك فى التماس الغذاء ، ولا فى دفع الضرر ، فمن الذى أجرى إليك من دم الأم ما يَغْذُوكَ ، كما يغذو الماء النبات ، وقلب ذلك الدم لبناً ، ولم يزل يغذيك به فى أضيق المواضع وأبعدها من حيلة التكسب والطلب ، حتى إذا كمل خلقك ، واستحكم ، وقوى أديمك على مباشرة الهواء ، وبصرك على ملاقاة الضياء ، وصلبت عظامك على مباشرة الأيدى ، والتقلب على الغبراء ، هاج الطَّلْقُ بأمك ، فأزعجك إلى الخروج أيما إزعاج إلى عالم الابتلاء ، فركضك الرحم ركضة من مكانك ، كأنه لم يضمك قط ، ولم يشتمل عليك !! =

= فيا بُعدَ ما بين ذلك القبول والاشتمال ، حين وُضِعت نطفة ؛ وبين هذا الدفع والطرد والإخراج !

وكان مبتهجاً بحملك ، فصار يستغيثُ ويَعُجُّ إلى ربك من ثقلك ، فمن الذى فتح لك بابه ، حتى ولجت ، ثم ضَمَّهُ عليك ؟.. حتى حُفِظت وكَمُلتَ ، ثم فُتِح لك ذلك الباب ووسعه حتى خرجت منه كلمح البصر ، لم يخنقك ضيقُهُ ، ولم تحبسك صعوبة طريقك فيه .

وحين تجد الثدى المعلق كالإداوة ، قد تدلى إليك ، وأقبل بدرّه عليك ؟ ، ثم جعل فى رأسه تلك الحلمة التى هى بمقدار صغر فمك ، فلا يضيق عنها ، ولا تتعب بالتقامها ؟ ، ثم نَقَبَ لك فى رأسها نقبًا لطيفًا بحسب احتمالك ، ولم يوسعه فتختنق باللبن ، ولم يضيقه فتمصه بكلفة ، بل جعله بقدر ، اقتضته حكمته ومصلحتك ؟

فمَن عَطَفَ عليك قلب الأم ، ووضع فيه الحنان العجيب والرحمة الباهرة ، حتى تكون فى أهنأ ما يكون من شأنها وراحتها ومُقيلها ؟

فمن الذى وضع ذلك فى قلبها ؟ حتى إذا قوى بدنك =

= واتسعت أمعاؤك ، وخشنت عظامك ، واحتجت إلى غذاء أصلب من غذائك ؛ ليشتد به عظمك ، ويقوى عليه لحمك ، وَضَعَ فى فيكَ آلة القطع والطحن ، فَنَصَبَ لك أسنانًا ، تقطعُ بها الطعام ، وطواحين تطحنه بها ؟ فمن الذى حبسها عنك أيام رضاعك رحمة بأمك ولطفًا بها ، ثم أعطاكَهَا أيام أكلِكَ رحمة بك ، وإحسانًا إليك ولطفًا بك ؟!

فمن الذى ساعدك بهذه الآلات ، وأنجدك بها ، ومكنك بها من ضروب الغذاء ؟!

ومن هذا الذى هو قَيِّمٌ عليك بالمرصاد ، يرصدك حتى يوافيك بكل شىء من المنافع والآراب والآلات فى وقت حاجتك ، لا يقدمها عن وقتها ، ولا يؤخرها عنه ، ثم إنه أعطاك الأظفار وقت حاجتك إليها ، لمنافع شتى ، فإنها تعين الأصابع ، وتقويها ، فإن أكثر العمل لما كان برءوس الأصابع ، وعليها الاعتماد أُعِينت بالأظافر قوة بها ، مع ما فيها من منفعة حَكِّ الجسم ، وكشط الأذى الذى لا يخرج باللحم عنه ؛ إلى غير ذلك من فوائدها ؟

ثم جعلك بالشعر على الرأس زينة ووقاية وصيانة من =

= الحر والبرد ، إذ هو مجمع الحواس ، ومعدن الفكر والذكر ، وثمرة العقل تنتهى إليه .

فارجع الآن إلى نفسك ، وكرر النظر فيك ، فهو يكفيك ، وتأمل أعضاءك وتقدير كل عضو منها للأرب والمنفعة المهيأ لها ، فاليدان للعلاج والبطش والأخذ والإعطاء والمحاربة والدفع . والرجلان لحمل البدن والسعى والركوب وانتصاب القامة . والعينان للاهتداء والجمال والزينة والملاحة ورؤية ما فى السموات والأرض وآياتهما وعجائبهما . والفم للغذاء والكلام والجمال وغير ذلك ، والأنف للنفس وإخراج فضلات الدماغ وزينة للوجه ، واللسان للبيان والترجمة عنك ، والأذنان صاحبتا الأخبار ، تؤدياتها إليك .

واللسان يبلغ عنك ، والمعدة خزانة ، يستقر فيها الغذاء ، فتنضجه ، وتطبخه ، وتصلحه إصلاحًا آخر وطبخًا آخر غير الإصلاح والطبخ الذى توليته من الخارج ، فأنت تعانى إنضاجَهُ وطبخه وإصلاحه ، حتى تظن أنه قد كمل ، وأنه قد استغنى عن طبخ آخر وإنضاج آخر ، وطبّاخُه الداخل ومُنضِجه يعانى من نضجه وطبخه ما لا تهتدى إليه ، ولا تقدر عليه ، =

= فهو يوقد عليه نيرانًا تذيب الحصى ، وتذيب ما لا تذيبه النار ، وهى فى ألطف موضع منك ، لا تحرقك ، ولا تلتهب ، وهى أشد حرارة من النار ، وإلا فما يذيب هذه الأطعمة الغليظة الشديدة جداً ، حتى يجعلها ماء ذائبًا ؟ وجعل الكبد للتخليص ، وأخذ صفو الغذاء وألطفه ؟ ثم رتب منها مجارى وطرقًا يسوق بها الغذاء إلى كل عضو وعظم وعصب ولحم وشعر وظفر ؟ وجعل المنازل والأبواب لإدخال ما ينفعك ، وإخراج ما يضرك ، وجعل الأوعية المختلفة خزائن ، تحفظ مادة حياتك ، فهذه خزانة للطعام ، وهذه خزانة للحرارة ، وهذه خزائن للدم ، وجعل منها خزائن مؤديات ، لئلا تختلط بالخزائن الأخر ، فجعل خزائن للمرة السوداء . وأخرى للمرة الصفراء ، وأخرى للبول ، وأخرى للمنى ؟!

فمن ذا الذى تولى ذلك كله ، وأحكمه ، ودبره ، وقدره أحسن تقدير ؟!

وكأنى بك أيها المسكين تقول : هذا كله من فعل الطبيعة ، وفى الطبيعة عجائب وأسرار ، فلو أراد الله تعالى أن يهديك لسألت نفسك بنفسك ، وقلت : أخبرينى عن هذه الطبيعة =

= أهي ذات قائمة بنفسها ؟ لها عِلْمٌ وقدرة على هذه الأفعال العجيبة ، أم ليست كذلك ، بل عَرَضٌ وصِفَةٌ قائمة بالمطبوع تابعة له محمولة فيه ؟ فإن قالت لك : بل هى ذات قائمة بنفسها ، لها العلم التام والقدرة والإرادة والحكمة ، فقل لها : هذا هو الخالق البارئ المصور ، فلِمَ تسمينه طبيعة ؟ ويا لله من ذكر الطبائع ، ومن يرغب فيها ، فَهَلَّا سمَّيتِيه بما سمى به نفسه على ألسن رسله ، ودَخَلْتِ فى جملة العقلاء والسعداء ؟ فإن هذا الذى وصفت به الطبيعة صفته تعالى ، وإن قالت لك : بل الطبيعة عَرَضٌ محمول مفتقر إلى حامل ، وهذا كله فعلها بغير علم منها ، ولا إرادة ولا قدرة ولا شعور أصلًا ، قد شوهد من آثارها ما شوهد ، فقل لها : هذا ما لا يصدقه ذو عقل سليم .

كيف تصدر هذه الأفعال العجيبة والحِكَم الدقيقة التى تعجز عقول العقلاء عن معرفتها ، وعن القدرة عليها ، ممَّنْ لا عقل له ولا قدرة ولا حكمة ولا شعور ؟ وهل التصديق بمثل هذا إلا دخول فى سلك المجانين والمبرسمين ؟!

ثم قُلْ لها بعد : ولو ثبت لك ما ادَّعيت ، فمعلوم أن =

= مثل هذه الصفة ليست بخالقة لنفسها ، ولا مبدعة لذاتها ، فمَن رَبُّها ومبدعها وخالقها ، ومَن طَبَعها وجعلها تفعل ذلك ؟ فهى إذن من أدل الدلائل على بارئها وفاطرها ، وكمال قدرته وعلمه وحكمته ، فلم يُجْدِ عليك تعطيلك رب العالم ، وجحدك لصفاته وأفعاله إلا مخالفتك العقل والفطرة .

ولو حاكمناك إلى الطبيعة ، لرأيناك أنك خارج عن موجبها ، فلا أنت مع موجب العقل ، ولا الفطرة ، ولا الطبيعة ، ولا الإنسانية أصلًا ، وكفى بذلك جهلًا وضلالًا .

فإن رجعت إلى العقل ، وقلت : لا يوجدُ حِكمةٌ إلا من حكيم قادر عليم ، ولا تدبير متقن إلا من صانع قادر مختار مدبر ، عليم بما يريد ، قادر عليه ، لا يعجزه ، ولا يئوده ، قيل لك : فإذا أقررت ويحك ! بالخلاق العظيم الذى لا إله غيره ، ولا رَبَّ سواه ، فَدَعْ تسميته طبيعةً ، أو عقلًا فعالًا ، أو موجبًا بذاته ، وقل : هذا هو اللَّه الخالق البارئ المصور ، رب العالمين ، وقيوم السموات والأرضين ، ورب المشارق والمغارب ، الذى أحسن كل شىء خلقه ، وأتقن ما صنع ، فَعَالَكَ جحدت أسماءه وصفاته وذاته ، وأضفت صنيعه إلى غيره ، وخَلْقَهُ إلى سواه ، مع أنك مضطر إلى الإقرار به ، =

= وإضافة الإبداع والخلق والربوبية والتدبير إليه ولابدَّ ، والحمد لله رب العالمين .

على أنك لو تأملت قولك : طبيعة ، ومعنى هذه اللفظة ، لدلَّك على الخالق البارئ لفظها ، كما دل العقول عليه معناها ؛ لأن طبيعة – فعيلة – بمعنى مفعولة ، أى مطبوعة ، ولا يحتمل غير هذا البتة ؛ لأنها على بناء الغرائز التى ركبت فى الجسم ووُضعت فيه ، كالسجية والغريزة والبحيرة والسليقة والطبيعة ، فهى التى طُبع عليها الحيوان ، وطُبعت فيه .

ومعلومٌ أن طبيعةً من غير طابع لها مُحال ، فقد دل لفظ الطبيعة على البارئ تعالى ، كما دل معناها عليه ، والمسلمون يقولون : إن الطبيعة خَلْقٌ من خلق الله مسخر مربوب ، وهى سنته فى خليقته التى أجراها عليه ، ثم إنه يتصرف فيها كيف شاء ، وكما شاء ، فيسلبها تأثيرها إذا أراد ، ويقلب تأثيرها إلى ضده إذا شاء ؛ ليُرِى عبادَهُ أنه وحده الخالق البارئ المصور ، وأنه يخلق ما يشاء كما يشاء : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

وإن الطبيعة التى انتهى نظر الخفافيش إليها ، إنما هى خَلْقٌ من خلقه بمنزلة سائر مخلوقاته ، فكيف يَحْسُنُ بمن له حظ =

= من إنسانية أو عقل أن ينسى مَنْ طَبَعَها وخلقها ، ويحيل الصنع والإبداع عليها ، ولم يزل الله سبحانه يسلبها قوتها ، ويحيلها ، ويقلبها إلى ضد ما جُعلَتْ له ، حتى يرى عباده أنها خَلقه وصنعه مسخرة بأمره : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

فأعدْ النظر فى نفسك ، وحكمة الخلاق العليم فى خلقك ، وانظر إلى الحواس التى منها تُشرفُ على الأشياء ، كيف جعلها الله فى الرأس كالمصابيح فوق المنارة ؛ لتتمكن بها من مطالعة الأشياء ، ولم تجعل فى الأعضاء التى تمتهن كاليدين والرجلين ، فتتعرض للآفات بمباشرة الأعمال والحركات ، ولم يجعلها فى الأعضاء التى فى وسط البدن ، كالبطن والظهر ، فيَعْسُرُ عليك التلفت والاطلاع على الأشياء ، فلما لم يكن لها فى شىء من هذه الأعضاء موضع ، كان الرأس أليقَ المواضع بها وأجملها ، فالرأس صومعة الحواس .

ثم تأمل حكمته فى الأعضاء التى خُلقت فيك آحادًا ومثنى وثلاث ورباع ، وما فى ذلك من الحِكم البالغة . فالرأس واللسان والأنف والذكر ، خُلِقَ كل منهم واحدًا فقط ؛ =

= إذ لا مصلحة في كونه أكثر من ذلك ، ألا ترى أنه لو أضيف إلى الرأس رأس آخر ، لأثقل بدنَهُ من غير حاجة إليه ؛ لأن جميع الحواس التي يحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد ، ثم إن الإنسان بذلك ينقسم برأسه قسمين : فإن تكلم من أحدهما ، وسمع به وأبصر وشم وذاق ، بقي الآخر معطلًا لا أَرَبَ فيه ، وإن تكلم وأبصر وسمع بهما معًا كلامًا واحدًا وسمعًا واحدًا وبصرًا واحدًا ، كان الآخر فضلة لا فائدة فيه ، وإن اختلف إدراكهما ، اختلفت عليه أحواله وإدراكاته .

وكذلك لو كان له لسانان في فم واحد ، فإن تكلم بهما كلامًا واحدًا كان أحدهما ضائعًا ، وإن تكلم بأحدهما دون الآخر ، فكذلك ، وإن تكلم بهما معًا كلامين مختلفين ، خلط على السامع ، ولم يَدْرِ بأي الكلامين يأخذ . وكذلك لو كان له هنوان وفمان ، لكان مع قُبْحِ الخِلْقة أحدهما فضلة ، لا منفعة فيه ، وهذا بخلاف الأعضاء التي خلقت مثنى كالعينين ، والأذنين ، والشفتين ، واليدين ، والرجلين ، والساقين ، والفخذين ، والوركين ، والثديين ، فإن الحكمة فيها ظاهرة ، والمصلحة بيِّنة ، والجمال والزينة عليها بادية . =

= فلو كان الإنسان بعين واحدة ، لكان مُشَوَّهَ الخِلْقة ناقصها ، وكذلك الحاجبان ، وأما اليدان والرجلان والساقان والفخذان فتعددهما ضروري للإنسان ، لا تتم مصلحته إلا بذلك ، ألا ترى من قطعت إحدى يديه أو رجليه ، كيف تبقى حاله وعجزه ، فلو أن النجَّار والخيَّاط والحدَّاد والخبَّاز والبنَّاء وأصحاب الصنائع التي لا تتأتى إلا باليدين ، شُلَّت يد أحدهم ، لتعطلت عليه صنعته ، فاقتضت الحكمة أن أُعطِي من هذا الضرب من الجوارح والأعضاء اثنين اثنين ، وكذلك أعْطَى شفتين لأنه لا تكمل مصلحته إلا بهما ، وفيهما ضروب عديدة من المنافع ، ومن الكلام والذوق وغطاء الفم والجمال والزينة والقبلة وغير ذلك ، وأما الأعضاء الثلاثة : فهي جوانب أنفه وحيطانه ، وقد ذكرنا حكمة ذلك فيما تقدم ، وأما الأعضاء الرباعية فالكعاب الأربعة التي هي مجمع القدمين ، والممسكة لهما ، وبهما قوة القدمين وحركتهما ، وفيهما منافع الساقين . =

= وكذلك أجفان العينين فيها من الحكم والمنافع ، أنها غطاء للعينين ، ووقاية لهما ، وجمال وزينة ، وغير ذلك من الحكم ، فاقتضت الحكمة البالغة أن جعلت الأعضاء على ما هي عليه من العدد والشكل والهيئة ، فلو زادت أو نقصت لكان نقصًا فى الخِلقة ، ولهما يوجد فى النوع الإنسانى من زائد فى الخلقة وناقص منها ما يدل على حكمة الرب تعالى . وأنه لو شاء لجعل خلقه كلهم هكذا ، وليعلم الكاملُ الخِلْقة تمامَ النعمة عليه ، وأنه خلق خلقًا سَوِيًا معتدلًا ، لم يزد فى خلقه ما لا يحتاج إليه .

ثم تأمل هذا الصوت الخارج من الحلق ، وتهيئة آلاته ، والكلام وانتظامه ، والحروف ومخارجها وأدواتها ، ومقاطعها وأجراسها ، تجد الحكمة الباهرة فى هواء ساذج يخرج من الجوف فيسلك فى أنبوبة الحنجرة حتى ينتهى إلى الحلق واللسان والشفتين والأسنان ، فيحدث له هناك مقاطع ونهايات وأجراس ، يسمع له عند كل مقطع ونهاية جَرْسٌ مُبِينٌ منفصل عن الآخر ، يحدث بسببه الحرف ، فهو صوت واحد ساذج ، يجرى فى قصبة واحدة ، حتى ينتهى إلى مقاطع =

= وحدود ، تسمع له منها تسعة وعشرين حرفًا ، يدور عليها الكلام كُلُّهُ أمْرُهُ ونهيهُ وخبره واستخباره ونظمه ونثره وخطبه ومواعظه وفضوله ، فمنه المضحك ، ومنه المبكى ومنه المؤيس ، ومنه المطمع ، ومنه المخوف ، ومنه المرْجَىّ والمسَلّى والمحزن والقابض للنفس والجوارح ، والمنشِّط لها ، والذى يُسْقِمُ الصحيح ، ويُبرئُ السقيم .. إلخ .

ومَنْ جعل فى الحَلْقِ منفذين ، أحدهما : للصوت والنفس الواصل إلى الرئة ، والآخر : للطعام والشراب ، وهو المرىء الواصل إلى المعدة ، وجعل بينهما حاجزًا ، يمنع عبور أحدهما فى طريق الآخر فلو وَصل الطعام من منفذ النفس إلى الرئة ، لأهلك الحيوان .

ومن جعل الرئة مروحةً للقلب ، ترَوِّح عليه ، لا تنى ، ولا تفتر لكيلا تنحصر الحرارة فيه ، فيهلك ؟

ومن جعل المنافذ لفضلات الغذاء ، وجعل لها أشراجًا تقبضها لكيلا تجرى جريًا دائمًا ، فتفسد على الإنسان عيشه ، وتمنع الناس من مجالسة بعضهم بعضًا ؟!

ومن جعل المعدة كأشد ما يكون من العصب ؛ لأنها هُيِّئَتْ لطبخ الأطعمة ، وإنضاجها ؟! فلو كانت لحمًا غَضًّا =

= لانطبخت هى ، ونضجت ، فجعلت كالعصب الشديد ، لتقوى على الطبخ والإنضاج ، ولا تنهكها النار التى تحتها .

ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة ؛ لأنها هيئت لقبول الصفو اللطيف من الغذاء والهضم ، وعمل هو ألطفُ من عمل المعدة ؟!

ومَنْ حصَّنَ المخ اللطيف الرقيق فى أنابيب صلبة من العظام ، ليحفظها ويصونها ، فلا تفسد ولا تذوب ؟!

ومن جعل الدم السيال محبوسًا محصورًا فى العروق بمنزلة الماء فى الوعاء ، ليَضْبِط فلا يجرى ؟!

ومن جعل الأظفار على أطراف الأصابع ، وقاية لها وصيانة من الأعمال والصناعات ؟!

ومن جعل داخل الأذن مستويًا كهيئة الكوكب ؛ ليَطَّرِدَ فيه الصوت حتى ينتهى إلى السمع الداخل وقد انكسرت حدة الهواء فلا ينكؤه ؛ وليتعذَّرَ على الهوام النفوذ إليه قبل أن يمسك ، وليمسك ما عساه أن يغشاها من القذى والوسخ ، ولغير ذلك من الحكم ؟!

ومن جعل على الفخذين والوركين من اللحم أكثر مما على سائر الأعضاء ؛ ليقيها من الأرض ، فلا تألم عظامها من كثرة الجلوس ، كما يألم مَنْ نَحَلَ جسمهُ ، وقَلَّ لحمه من =

= طول الجلوس ، حيث لم يحل بينه وبين الأرض حائل ؟!

ومن جعل ماء العينين ملحاً ، يحفظها من الذوبان ، وماء الأذن مُرّاً ، يحفظها من الذباب والهوام والبعوض ، وماء الفم عَذباً ، يدرك به طعوم الأشياء ، فلا يخالطها طعم غيرها ؟!

ومن جعل باب الخلاء فى الإنسان فى أستر موضع ، كما أن البناء الحكيم يجعل موضع التخلئ فى أستر موضع فى الدار ، وهكذا منفذ الخلاء من الإنسان فى أستر موضع ، ليس بارزًا من خلفه ولا ناشزًا بين يديه ، بل مُغَيَّبٌ فى موضع غامض من البدن ، يلتقى عليه الفخذان بما عليهما من اللحم متواريًا ، فإذا جاء وقت الحاجة ، وجلس الإنسان لها ، برز ذلك المخرج للأرض ؟!

ومن جعل الأسنان حِدادًا لقطع الطعام وتفصيله ، والأضراس عِراضًا لِرَضِّهِ وطحنه ؟!

مفتاح دار السعادة [٤٤٨/١:٤٧٣] بتصرف .

أفضل الذكر .. الذكر الخفى

الحق سبحانه وتعالى يعلم ما فى نفسك دون أن تتكلم به ، بل وقبل أن تحدث به نفسك . فهو سبحانه ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (١) [طه : ٧] .

---

(١) قال القرطبى : قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ قال ابن عباس : ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ ما حدث به الإنسان غيره فى خفاء ، ﴿ وَأَخْفَى ﴾ منه ما أضمر فى نفسه مما لم يحدِّث به غيره .

وعنه أيضاً : ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ حديث نفسك ، ﴿ وَأَخْفَى ﴾ من السر ما ستحدث به نفسك مما لم يكن وهو كائن ؛ أنت تعلم ما تسر به نفسك اليوم ، ولا تعلم ما تسر به غداً ، والله يعلم ما أسررت اليوم وما تسره غداً ؛ والمعنى : الله ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ من السر . وقال ابن عباس أيضاً : ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ ما أسر ابن آدم فى نفسه ، ﴿ وَأَخْفَى ﴾ ما خفى على ابن آدم مما هو فاعله وهو لا يعلمه فالله تعالى يعلم ذلك كله ، وعلمه =

والسر معروف ؛ وهو ما تسره فى نفسك ولم يطلع عليه أحد غيرك . ولكن الأخفى من السر هو أن الله تعالى علم ما سيكون سراً فى الغد قبل أن يكون ، وقبل أن تعلمه أنت .

والله تعالى جعل الدعاء الخفىّ أفضل الدعاء ؛ لأن الإنسان قد يريد أن يدعو ربه بشىء إن سمعه غيرُه ربما استنقصه . فيجعل دعوته سراً بينه وبين ربه (١) .

= فيما مضى من ذلك وما يستقبل علم واحد ، وجميع الخلائق فى علمه كنفس واحدة .

وقال قتادة وغيره : ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ ما أضمره الإنسان فى نفسه ، ﴿ وَأَخْفَى ﴾ منه ما لم يكن ، ولا أضمره أحد .

وقال ابن زيد : ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ سر الخلائق ، ﴿ وَأَخْفَى ﴾ منه سره عز وجل .

وأنكر ذلك الطبرى ، وقال : إن الذى هو ﴿ وَأَخْفَى ﴾ ما ليس فى سر الإنسان وسيكون فى نفسه كما قال ابن عباس .

تفسير القرطبى [١٢/١٧٠] .

(١) قال الشيخ سليم الهلالى : وفى الإسرار بالذكر أسرار ذكرها الأئمة الكبار ؛ منها ما قاله العلّامة الإمام شيخ الإسلام فى =

لأن الله تعالى يحب أن يستر على عبده حتى ولو كان عاصياً . فالذى تستحيى أن تقوله أمام غيرك قُلْه لربك ولو فى سرك دون أن يسمعك أحدٌ . فالدعاء الخفى أفضل ؛ لأن الإنسان يكون طليقاً فى دعاء ربه ، فلا يستحيى أن يسأل ربه أى شىء لأنه ربه .

= « مجموع الفتاوى » [١٥/١٥-٢٢] ولأهميتها نذكرها ملخصة .

أحـدها : أنه أعظم إيمانًا ؛ لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الذكر الخفى والدعاء الخفى .

وثانيهـا : أنه أعظم فى الأدب والتعظيم ؛ لأن الملوك لا تُرفَعُ الأصوات عندهم ، ولله المثل الأعلى .

ثالثهـا : أنه أبلغ فى التضرع والخشوع الذى هو لُبُّ الذكر ومقصوده ؛ لأن الخاشع الذليل يسأل سؤال من انكسر قلبه ، وذَلَّتْ جوارحه ، وخشع صوته .

رابعهـا : أنه أبلغ فى الإخلاص .

خامسها : أنه أجمع للقلب على الذِّلَّةِ فى الذكر والدعاء .

سادسها : أنه دال على قرب العبد للقريب ، لا مسألة =

والناس يفزعون ويحزنون حين يسألهم أحد ، ولكن ربك حين تسأله يفرح [١] .

= نداء البعيد للبعيد ، فإذا استحضر القلب قرب الله من كل قريب ؛ أخفى ذكره ودعاءه ما أمكنه .

سـابعها : أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال ؛ فإن اللسان لا يملُّ ، والجوارح لا تتعب .

ثامنهـا : أنه أبعد له من القواطع والمشوشات ، فإن الذاكر إذا أخفى الذكر لم يدر به أحد إلا من ذكره سبحانه وتعالى .

تاسـعها : أنه أسلم لهذه النعمة من تعلق النفوس به ، وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد .

فمن فعل ذلك لم يكن من الغافلين ، نسأل الله أن يجمع قلوبنا وعقولنا وألسنتنا على ذكره وشكره وحسن عبادته .

بهجة الناظرين [٢/٤٩٣:٤٩٤] .

(١) اعلم أن الله سبحانه لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدّاً معلوماً ، ثم أعذر أهلها : غير الذكر ، فإن الله تبارك اسمه لم يجعل للذكر حدّاً ينتهى إليه ، ولم يعذر أحداً فى تركه إلا مغلوباً على تركه .

فقال عز وجل : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا

﴿ وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٣] أى : على كل حال .

وحضَّ سبحانه وتعالى على ذكره وشكره كثيراً ؛ فقال جَلَّ ثناؤه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤١] ؛ لأن الذكر من أجلِّ القربات وأفضل العبادات ؛ وسالكه على سبيل أمن وأمان ، والفوائد التى يجتنيها لا يعبر عنها لسان ، ولا يحيط بها إنسان .

ولن يكون العبد من الذاكرين اللَّه كثيراً حتى يلازم الأذكار المأثورة عن معلم الخير ، وإمام المتقين ﷺ .

وينبغى على العبد أن يحافظ على الأذكار المأثورة ؛ لأن العبادات مبناها على التوقيف ، ومدارها على الاتباع لا على الهوى والابتداع .

فهى أفضل ما يتحرَّاه المتحرِّى ؛ لأن فيها غاية المطالب الصحيحة ونهاية المقاصد العلية ؛ لما فيها من التوحيد الخالص ، والعبادة المشروعة ، والمحبة الصادقة للَّه ورسوله والمسلمين .

والأحاديث التى حض فيها رسول اللَّه ﷺ المؤمنين على ذكر اللَّه تعالى كثيرة منها :

عن أبى موسى الأشعرى رضى اللَّه تعالى عنه ، عن النبى ﷺ =

= أنه قال : « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره ، مثل الحى والميت »(١) .

وعنه رضى اللَّه تعالى عنه قال : « مثل البيت الذى يذكر اللَّه فيه ، والبيت الذى لا يذكر اللَّه فيه مثل الحى والميت »(٢) .

وعن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : « يقول اللَّه تعالى : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم »(٣) .

وعن أبى الدرداء رضى اللَّه تعالى عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟ » . قالوا : بلى . قال : « ذكر اللَّه تعالى »(٤) . =

(١) أخرجه البخارى [٦٤٠٧] .

(٢) أخرجه مسلم [٢١١/٧٧٩] .

(٣) أخرجه البخارى [٧٤٠٥] ، ومسلم [٢/٢٦٧٥] .

(٤) رواه الترمذى [٣٣٧٧] ، وابن ماجه [٣٧٩٠] ، وأحمد فى المسند [١٩٥/٥] ، والحاكم فى المستدرك [٤٩٦/١] .

= وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله عز وجل ، تنادوا هلمُّوا إلى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، فيسألهم ربهم - وهو أعلم - : ما يقول عبادي ؟ قال : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ، ويحمدونك ، فيقول : هل رأوني ؟ فيقولون : لا والله ما رأوك ، فيقول : كيف لو رأوني ؟ قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً . فيقول : فماذا يسألون ؟ قال : يقولون : يسألونك الجنة . قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها . قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً ، وأشد لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة . قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يتعوذون من النار ؛ قال : فيقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها . فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها مخافة . قال : فيقول : =

= فأشهدكم أني قد غفرت لهم ، قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة ، قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم » (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن لله ملائكة سياحة فضلًا يتتبعون مجالس الذكر ، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم ، وحفَّ بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا ، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء ، فيسألهم الله عز وجل - وهو أعلم - من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ، ويكبرونك ، ويهللونك ، ويحمدونك ، ويسألونك . قال : وماذا يسألوني ؟ قالوا : يسألونك جنتك ، قال : وهل رأوا جنتي ؟ قالوا : لا ، أي رَبِّ . قال : فكيف لو رأوا جنتي ؟ قالوا : ويستجيرونك . قال : ومم يستجيرونني ؟ قالوا : من نارك يا رب . قال : وهل رأوا ناري ؟ قالوا : لا ، قال : فكيف لو رأوا ناري ؟ قالوا : ويستغفرونك ، فيقول : قد غفرت لهم ، وأعطيتهم ما سألوا ، وأجرتهم مما استجاروا . =

(١) أخرجه البخاري [٦٤٠٨] .

= قال : فيقولون : رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر ، فجلس معهم ، فيقول : وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم[1] .

وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة ؛ وذكرهم الله فيمن عنده »[2] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : خرج معاوية رضي الله تعالى عنه على حلقة في المسجد ، فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله . قال : آلله ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا : ما أجلسنا إلا ذاك ، قال : أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثًا مني : إن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : « ما أجلسكم ؟ » قالوا : جلسنا نذكر الله ، ونحمده على ما هدانا للإسلام ؛ ومنَّ به علينا . قال : =

(١) أخرجه مسلم [٢٦٨٩/٢٥] .
(٢) أخرجه مسلم [٢٧٠٠/٣٩] .

= « آلله ما أجلسكم إلا ذاك ؟ » قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك . قال : « أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة »[1] .

○○○

(١) أخرجه مسلم [٢٧٠١/٤٠] .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ، ساعة تسمع أو تقرأ كلمة : ﴿ ٱلْحَمْدُ ﴾ فأنت تفهم أنها كلمة المدح والثناء والشكر ، وهو حمد الله ، فالحمد لله أمر فطرى موجود فى كل إنسان ؛ لأنه سبحانه الذى أمد كل إنسان بشىء من أسبابه .. وحين تسأل أحدًا عن شىء فإن كل ما أَمَدَّك به هو من مدد الله تعالى عليه .

إذن .. فكل حمد يجب أن يُتَوَجَّه به إلى الله سبحانه وتعالى فإنه له الحمد كله .

ولنضرب مثلًا لما يجب أن يكون عليه الإنسان الذى أسبغ الله تعالى عليه نِعَمَه ظاهرة وباطنة ، فنقول : هب أن إنساناً ضلَّت راحلته فى مكان ما موحش لا يوجد به أى شىء من أسباب الحياة وأراد أن يأكل ويشرب .. وينام ، وهذه هى أولويات الحياة ، لكنه لم يجد شيئاً من هذا ، ثم أخذته سِنَةٌ من النوم ، فلما استيقظ وجد مائدة عليها كل أطايب الطعام والشراب ، ويجانب ذلك وجد خيمة فيها متاع له . إنه ساعة

يرى ذلك وقبل أن يبدأ فى استخدام أى شىء منه يتساءل عن مصدر هذا النعيم ؛ لأنه يريد أن يشكر الذى أنعم عليه .

فكذلك أنت أيها الإنسان من ساعة ولادتك فى هذا الكون وجدت أشياء تخدمك ولا عمل لك فيها ولا للسابقين عليك ؛ لأن أحدًا لم يدَّعها لنفسه ، فوجدت شمساً تُشرِق وهواءً لازماً لحياتك ، وماءً يَروِى ، وأرضاً تُزرَع ، وغير ذلك من كل ما يخدمك ، وأخبرك الحق أنه الذى خلق لك كل هذا وسخره لخدمتك . ألا تشكره إذن ؟ إن البشرية عندما استفادت من المصباح الكهربى قامت الضجة لتكريم إديسون الذى اخترعه ، فما بالنا بخالق الشمس التى تنير الكون كله ؟ إن الاختراعات البشرية تخلِّد أصحابها وتقوم الضجة لتكريمهم ، فما بالنا بخالق الكون كله ؟! إننا نُكَرِّمُ صانع المصباح الذى ينير مساحات ضيقة مهما اتسعت بالقياس إلى الأرض ، فما بالنا بخالق الشمس التى تنير الأرض فى النهار ثم تختفى فى الليل حتى يستريح الإنسان [1] ؟

(١) وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝ ﴾ [النبأ] .

إذن .. فالحمد لله حمدًا طيبًا مباركًا فيه ، كما يحب ربنا ويرضى ، فهو سبحانه المستحق للحمد وحده ، فهو الذى خلق وقدَّر وهدى ، وسخَّر للإنسان كل ما فى السموات والأرض ليسير له مهمته فى عمارة الكون ، ومن ثم عبادته سبحانه وفق ما شرع وقدر .

○○○

الحمد ... حق الله على خلقه

الله سبحانه وتعالى له عطاءان : عطاء ربوبية وعطاء ألوهية ، وعطاء الربوبية يشمل المؤمن والكافر ، أما عطاء الألوهية فهو للمؤمن وحده .

ومن عطاء الربوبية تسخير هذا الكون للإنسان ، فذلك التسخير لم يدَّعه أحد ولا يستطيع أحد أن يدعيه ، فلا يمكن لإنسان أن يقول مثلًا : إنه خلق الشمس أو يدَّعى أنه أوجَدَ القمر أو صنع الأرض أو أوجد السموات ، إلى غير ذلك من آيات الكون ، فكل هذه الآيات هى عطاء ربوبية تشهد أمام المؤمن والكافر بأنَّ الله رب العالمين ؛ ذلك أن هذه الأشياء فوق قدرات البشر وفوق علم البشر ، ولذلك كانت وستبقى آيات لله سبحانه وتعالى شاهدة له بالربوبية والخلق لا يستطيع أحد أن يكابر فيها ، إنها آيات تُذَكِّرُنا كل صباح ومساء ، بل كل لحظة بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق وهذا خلقه .

إذا أشرقت الشمس تشرق على المؤمن والكافر وتضيء النهار بضيائها ، وتعطى الدفء بشعاعها لكل مؤمن وغير مؤمن ، ألا يستوجب ذلك حمداً من الخلق لخالقهم سبحانه وتعالى .

وإذا أمطرت السماء ينزل الماء على الأرض ، فتنمو الزروع والثمار ، فيأكل منها المؤمن والكافر ، ألا يستحق ذلك كله الحمد من الخلق للخالق وتَعاقُبُ الليل والنهار ينتفع به المؤمن والكافر على السواء ، فيخلد للراحة ليلًا ، ويجتهد فى العمل نهارًا ، وهناك أشياء كثيرة لا يصلح لها إلا الليل وأخرى لا يصلح لها إلا النهار ، لا فرق فيها بين مؤمن وكافر ، ألا يستوجب ذلك كله الحمد للّه تعالى من خلقه ، ولو استقصينا موجبات الحمد للّه تعالى الذى يستوى فيها المؤمن والكافر ما أحصيناها ، فللّه سبحانه الحمد كما يحب ويرضى .

○○○

شكر اللّه فى كلمتين

اللّه سبحانه وتعالى رحمة منه بالخلق جعل الشكر الجزيل ، والثناء الجميل ، والحمد الوافى فى كلمتين اثنتين هما : « الحمد للّه » والعجيب أنك عندما تأتى لتشكر إنسانًا مثلك على نعمة واحدة أسداها إليك تظل ساعات وساعات يلهج لسانك بالشكر والثناء ، وربما ظللت أيامًا ولياليَ قبل لقائك لهذا الشخص وأنت تعد الكلمات وتختار وتضيف وتحذف ، وتأخذ رَأْىَ الناس وتسألهم عَلَّكَ تَصِلَ إلى صيغة قصيدة أو تُدَبِّجَ خطابًا يَعُجُّ بالثناء والشكر . ولكن اللّه سبحانه وتعالى علّمنا أن نحمده بكلمتين اثنتين هما : « الحمد للّه » ؛ وذلك حتى يستطيع الجاهل والمتعلم ، والغنى والفقير ، والصغير والكبير ، والرجل والمرأة ، أن يقوم كل واحد منهم بواجب الحمد ، لمن هو أهل للحمد كله دون ذِلَّةٍ تُدْنِى النفس ، أو مبالغةٍ تصيب الإنسان بالغرور ، وهذه لعمر اللّه نعمة تستوجب الحمد ، فكم يريد منا البشر من كلمات على نعمة واحدة هم

لم يخلقوها بل كانوا سبباً فيها ، وربما جاءت على الرغم منهم ؛ لأن الله تعالى قدّرها فى ذلك الوقت فأجراها على أيديهم ، فكانوا مقهورين فيها ، ولتُحِسَّ وتشعر بالفارق الهائل بين نِعَم الله وشُكره ، وبين نِعَم البشر وما يطلبون عليها من شكر وحمد ، فلله الحمد من قبل ومن بعد ، وله الحمد فى الأولى والآخرة .

وله الحمد بكرة وعشيّاً ، وله الحمد فى كل وقت وحين ، حمداً طيباً مباركاً فيه مِلء السموات وملء الأرض ، وحتى يرضى ربنا سبحانه .

الله الذى يعطى بلا حساب وينعم على كل المخلوقات يكتفى بكلمتى الشكر هاتين ، يضعهما فى أول كتابه فاتحة الكتاب ، ويضعهما خاتمة لكل حياة مؤمنة فى الأرض فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس : ١٠] فكأن الحمد واقع فى الدنيا والآخرة ، واقع والخلق فى حياتهم ، وواقع بعد أن تُرجع الأمور كلها لله سبحانه وتعالى .

○○○

تحصين النعم بالشكر

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ ﴾ [هود : ١٠] هذا يعنى أن الحالة بعد أن نزعت النعمة الأولى كانت موجودة ثم نزعت ، والحالة الثانية كانت الضراء هى الموجودة بعد أن نزعت النعمة ، وهناك فرق بين نعماء ونعمة ، وضَرَّاء وضُرّ .

الضرُّ : هو الشىء الذى يؤلمنا ، والنعمة : هى الشىء الذى تتنعم به ، ولكن التنعم والألم قد يكونان فى النفس البشرية الواحدة ، ولكن لا يظهر أثرهما على الإنسان ، كأن يخفى الإنسان النعمة أو يخفى ألمه من ضرٍّ أصابه ، ولكن النعماء : هى أثر النعمة على صاحبها ، أى : أن يكون أثرها ظاهرا لا يخفيه الإنسان ؛ والضرَّاء : أن يظهر الألم والضر على الإنسان ولا يُخفيه .

إذن .. النعمة يقال لها : نعماء إن ظهر أثرها على الإنسان ، والضرّ يقال له : ضرّاء إن ظهر أثره على النفس البشرية .

يقول الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ﴾ [هود : ١٠] .

انظر إلى دقة تعبير القرآن الكريم ، لم يفطن الذى ذهبت السيئة عنه إلى مَن أذهبها ، وإنما نظر إلى ذهاب السيئة وكأن السيئة هى التى أذهبت نفسها ، ولو كان عنده إيمان لقال : أذهب الله السيئة عنى .

وقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ فرحه بالنعمة أذهله عن المنعم ، أو عمن بَدَّل السيئة بالنعمة ، والفخر هو الاعتزاز بالنفس ؛ وقد يوجد تميز بين إنسان وآخر ، لكن لا يوجد الفخر بالتميز . ولذلك لم يفتخر رسول الله ﷺ بذلك ، وعلى الإنسان الذى ميزه الله سبحانه بميزة ألا يفخر بذلك ، بل يشكر الله سبحانه وتعالى على ما مَيَّزه به .

والإنسان يجب ألا يتفاخر بما فضَّله الله تعالى به على بقية الخلق ، وعلينا أن نأخذ العبرة من قارون الذى تفاخر بما أعطاه الله من مال ، فمنع حق الله فيه ، وقال : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ [القصص : ٧٨] فكانت عاقبته كما جاء فى قول

الله جل جلاله : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص : ٨١] لذلك لابد أن تُحصِّن كل نعمة عندك بقولك عند رؤيتها : « ما شاء الله » وتنسب النعمة إلى واهبها حتى تستمر عين الله تحرسها لك ، أما يوم تنسى الواهب سبحانه فعليك أن تحافظ عليها أنت ما دمت قد نسبتها إلى نفسك ، وحينئذٍ تزول النعمة عنك .

وقوله تعالى : ﴿ ... إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ ﴾ [هود] الله سبحانه وتعالى لم يمنع الفرح ، ولكنه سبحانه طلب ألا يكون سجية وطبيعة المؤمن ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ أى : رضوا بالأمرين معًا ، رضوا بنزع النعمة ورضوا بزوال الضر ، والحالتان تحتاجان إلى الصبر .

الحالة الأولى : يعرف أن هناك حكمة لله سبحانه وتعالى ويصبر عليها .

والحالة الثانية : لا يُنسيه الفرح إيمانه بالله تعالى ؛ ولا يدخل

فى نفسه الفخر ولا يحسب أنه فى منّة من الله ، فيصبر ويكبح جماح نفسه ، وما دام الحق سبحانه وتعالى قد استثنى بقوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ، فلولا هذا الاستثناء لكان الكل داخلاً فى الحكم . الذين صبروا على ما يصيبهم من الأذى فى أمر الدعوة ، وما يصيبهم فى ذواتهم من الكافرين ، وعلموا أن كل هذا بتقدير الله سبحانه عليهم .

إذن .. فالصبر هو حبس النفس بحيث ترضى بمكروه نزل بها ، والمكروه له مصدران :

الأول : مكروه لا غريم لك فيه ، كأن يصيبك مرض أو عجز أو تفقد أحد أولادك مثلاً ، أو عزيزاً عليك ، وهذا ليس لك غريم فيه ولا تستطيع أن تفعل شيئاً .

المصدر الثانى : أمر لك غريم فيه ، كأن يعتدى عليك أحد ، أو يسرق من مالك ، أو غيره ، ذلك الأمر الذى لا غريم لك فيه ليس أمامك إلا الصبر ، والأمر الذى لك غريم فيه تكون نفسك مشتعلة برغبة الانتقام ، ولذلك يحتاج إلى صبر أكبر ، وإلى صبر أقوى ؛ لأن غريمك أمامك ، ونفسك تطالبك بالانتقام منه .

ولذلك يفرق الله سبحانه وتعالى بين الصبرين فيقول جل جلاله : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧] ويقول سبحانه وتعالى فى آية أخرى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣] زادت اللام هنا لتدلنا على أننا نحتاج فى الصبر إلى قوة إرادة وعزيمة حتى نمنع أنفسنا من الانتقام . ولكن المستثنى فى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ وما دمنا طُولبنا بالصبر ، فمعنى ذلك أن هناك إيذاءً ، فإياك أن يكون الإيذاء من خصمك فى غير الإيمان أو من خصمك دون الإيمان صارفاً لك عن نشاطك فى الطاعة ، فإذا كان هذا الصبر يؤذيك فى نفسك نقول لك : إن الله أباح لك أن ترد الاعتداء بمثله مصداقا لقوله تبارك وتعالى : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٤] فإذا أردت منزلة أعلى فاسمع قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] فإذا أردت منزلة أعلى فاسمع قوله جل جلاله : ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

المرتبة الأولى : وهى كظم الغيظ تدل على أن الغيظ موجود ولكنك تكظمه .

المرحلة الثانية : العفو وهو نسيان الإساءة . والذى ينتهج منهج الله تعالى هو الذى يُحسن ويعفو ، وهو المعتدى عليه والله سبحانه وتعالى يحب المحسنين .

○○○

زيادة النعم بالشكر

يقول الحق عز وجل : ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥٢] إن الحق ينبه الخلق إلى حقيقة مهمة فى الإيمان ، وهى أن يتذكر المؤمن كل النِّعم التى وهبها الله له لماذا ؟ لأنه على قدر ذكر المؤمن لنعم وفضائل الله يزيده الحق من عطائه . إن رغبة الحق فى أن يعطى أكبر من قدرة الإنسان على الشكر ، فإذا ذكر الإنسان خالقه فى كل النعم وفى نفسه وفى جوارحه ، فذلك الذكر يفتح أبواب عطاء الرحمن وهو عطاء بلا حدود .

وسبق أن ذكرنا قول بعض الصالحين الذين سمعوا ممن سمع عن الحبيب رسول الله ﷺ ما معناه : إنك إذا ما أقبلت على شَرْبة ماء فقسمها ثلاثاً : اشرب أول جرعة وقل : بسم الله واشربها ، ثم انته من الجرعة وقل : الحمد لله ، وابدأ الجرعة الثانية وقل : بسم الله واشربها وانته منها وقل الحمد لله ثم اختم بالثالثة وقل : بسم الله ، وانته منها وقل : الحمد لله ولن

تحدثك ذرة من نفسك بمعصية لله بسبب الأثر الصالح ، وليجرب كل منا ذلك في حياته ولسوف يجد نفسه لا تميل أبداً إلى معصية الحق لماذا ؟ لأنك استقبلت النعمة بذكر المنعم ، ونفضت عن نفسك حولك وقوتك في كل شيء ، وإذا سألت : ولماذا الماء ؟ هنا نقول : إن الماء يشيع في الجسم كله ، فإذا شكر الإنسان نِعَمَ الحق ، فإن المنعم يزيد الإنسان إيماناً ولا تفتته الأسباب أبداً ، ولا يكفر بنعمة الله ، ونحن قد قلنا من قبل إن كل نعمة من نعم الله لو استقبلها الإنسان بقوله : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، فإن الإنسان لا يرى في هذه النعمة مكروهاً أبداً ؛ لأنه حَصَّن النعمة بسياج القوىّ الذى وهبها له .

○○○

الحمد لله .. على منهج الله

الله تبارك وتعالى خلق آدم عليه السلام ودربه على المنهج الذى يحيا به الحياة السعيدة الآمنة ، قال له : افعل كذا .. ولا تفعل كذا .. وحذره الشيطان ، وأمره بعدم طاعته ، وهذا ليس خاصاً بآدم فقط ، بل هو لآدم وذريته من بعده ، وأرسل الله سبحانه الرسل وأنزل الكتب لبيان مراده من خلقه ، ومطلوبه تعالى منهم ، فكأنه سبحانه يقول لخلقه – وهو الغنى عنهم – : هذا منهجى وضعته لكم لتطبقوه فتفوزوا في الدنيا والآخرة ، ولقد وضعت لكم في هذا المنهج حرية الاختيار وحَمَّلتكم الأمانة ، فمن جاءنى طائعاً مختاراً فهو في كنفى أدافع عنه وأحميه وأوفيه أجره في الدنيا والآخرة ، ومن لم يأتنى وكفر بنعمتى فليتحمل وزر ما فعل .

هذا هو المنهج الذى نزل به آدم إلى الأرض ، والذى أرسل الله تعالى الرسل ليذكّروا به بعد أن غفل أولاد آدم عنه ونسوه وطال بهم العهد ، فحرفوه وأضافوا إليه أشياء هى من عندهم ونسبوها إلى الله سبحانه وتعالى ظلماً وعدواناً ، ولذلك عندما أرسل

الله تعالى رسوله محمداً ﷺ وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين ورسالته خاتمة الرسالات ، كان منهجه القرآن الكريم ، وجعله جامعًا لكل رسالات الأنبياء ، ومزيدًا عليها ، ومصححًا لما حُرِّف .

شاء سبحانه وتعالى أن يتولى هو حفظه حتى لا يدخله تحريف بشرىٌّ ؛ وظلّ القرآن طوال أربعة عشر قرنا ، وسيظل محفوظًا من الله سبحانه وتعالى مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] . إلى أن ينزعه الله من الصدور كواحدة من علامات القيامة الكبرى ، حين ينزع العلم ، ويُقبض العلماء ، ولا يبقى فى الأرض إلا شرار الخلق فعليهم تقوم الساعة (١) .

(١) أخرج البخاري [٦٨٧٧] عن عروة قال حج علينا عبد الله بن عمرو فسمعته يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعا ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون » .

وأخرج مسلم [١٩٢٤] عن عبد الله بن عمرو قال : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق هم شر من أهل الجاهلية لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم .

إذن .. الله سبحانه وتعالى وضع المنهج ، وخلق الإنسان وعلمه هذا المنهج ، وعلمه كيف يطبقه بأن أرسل رسلاً من البشر لتطبق المنهج تطبيقاً عمليًا يكون قدوة وبياناً وبرهاناً لكل من يجئ بعدهم ؛ ولذلك كانت بشرية الرسول فى الرسالات حتمية ؛ لأنه لو أنزل الله سبحانه وتعالى رسولاً من الملائكة أو من الجن أو من أى جنس غير البشر ، لقال الناس : هؤلاء ملائكة مخلوقون من نور ولهم قوانينهم ، ولا نستطيع أن نفعل ما يفعلونه ، أو هؤلاء الجن خلقوا من نار وقوانينهم مختلفة عنا ولا نستطيع أن نفعل ما يفعلونه ، أو هؤلاء ليسوا بشراً ، وقوانينهم تختلف عنا وقدراتهم فوق قدراتنا ، ولذلك فنحن لا نستطيع أن نقوم بما يقومون به ، ولقالوا لله سبحانه وتعالى : لو كنت قد أرسلت إلينا بشراً رسولاً له نفس قدراتنا ونفس قوانيننا لاتبعناه ، ولذلك أرسل الله سبحانه وتعالى رسلاً اصطفاهم من البشر ، حتى لا يكون للناس حجة يوم القيامة فى عدم تطبيق منهج الله بزعم أنه فوق قوانين البشر وقدراتهم ، بل تكون بشرية الرسول حجة عليهم فى أنه كان بشراً رسولاً ، وكان يطبق المنهج ، فلا عذر إذن لكم ، وحجتكم مرفوضة .

وعلينا أن نحمد الله تعالى على أن أنزل منهجًا لنا من السماء لنتبعه لماذا ؟ لأن الحياة بدون منهج تكون فاسدة فما دام ليس هناك منهج من الله فسوف يفعل كل إنسان ما يهوى، ويتخذ إلهه هواه ، فالقوىّ يقتل الضعيف ، والحاكمُ يستعبد المحكوم ، والغنى يَضِنُّ بماله على الفقير ، وتصبح الأرض أسوأ من غابة مملوءة بالوحوش يفتك كل منها بالآخر ولا توجد حماية لأحد . إن الإنسان حين يفعل ما يهواه بدون قيود تحدد له حركة حياته يصبح الحرام حلالًا ، فتفسد حركة الكون كله ؛ وأنت إذا قرأت القرآن وجدت أن كل من طغى وتجبر وخالف شرع الله وحكّم هواه ، يصيب البشرية بشرٍّ وبيلٍ ، ولكن الذى يحول بين الإنسان والشر ، وينشر السلام والأمان فى الأرض هو الإيمان . واقرأ قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ ﴾ [العصر] هذا هو حكم الله سبحانه وتعالى على البشرية بلا منهج ، خسران مبين وشر وبيل ، وفساد فى الأرض ، وقتل لكل ما هو مخالف ، ومنع للخير ، ثم يستثنى الله سبحانه وتعالى من الذين يعيشون فى خسران

مبين المؤمنين ، فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٣] .

إذن .. الإنسان بلا منهج وحش ضار يخرب فى الأرض ، يحرق الزرع وينشر الذعر والخوف والفساد ، فإذا ما تمسك بالمنهج كان المجتمع الصالح ، الذى لا يجوع فيه بشر ، ثم يصف الله سبحانه وتعالى نفسية الإنسان الذى يعيش بدون منهج فيقول ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ ﴾ [المعارج] أى أن الله سبحانه وتعالى يقول لنا : إن الإنسان عندما يكون بلا منهج ويرى شراً أو يواجه شراً فهو هلوع خائف يستسلم ويركع ولا يقاوم الجبن الذى هو أساس حياته ، وهذا يفسر لنا كيف استعبد البشرُ البشرَ ألوف السنين ، وكيف كان القوىُّ يستعبدُ الضعيف ، حتىّ التاسُ أقوياءَهم فكان هناك بشر نصّبوه إلهاً يسجدون له ؛ لأنه قوىٌّ ، ولأنه يُنذرُهم بالشر ، فإذا أنذرهم بالشر هلعوا وخافوا وسجدوا له وعبدوه ، وعبودية الإنسان للإنسان هى أسوأ أنواع العبودية ، بينما عبودية الإنسان لله هى

أرقى أنواع الحياة ، لماذا ؟ لأن الإنسان إذا استعبدك أخذ منك ولم يعطك شيئاً . أنت تزرع الأرض وهو يأخذ المحصول ولا يمنحك أى مقابل ، أنت تعمل وهو يأخذ ناتج عملك ، وإذا كان عندك شيء جميل في البيت دخل فأخذه منك ، وإذا كان عندك امرأة جميلة أو ابنة جميلة ضَمَّها إلى قصره ، وإذا كان لديك ولد تستعين به على الحياة فى كبرك أخذه منك ليعمل عنده ؛ وتركك تواجه الحياة فى هذه السن المتقدمة بلا مُعين .

هذه هى عبودية الإنسان للإنسان يأخذ منك ولا يعطيك ؛ يمد يده حتى إلى ثوبك الجميل الذى قد لا تمتلك غيره ، وهكذا تعيش مُعْدَماً بائساً ، ولتتصور حالك إذا كان لديك مال أخذوه منك ، وإذا كان لديك ولد أخذوه منك ، وإذا كان لديك أثاث أخذوه منك ، وإذا كان لديك طعام أخذوه منك ، فأى حياة تلك التى تعيشها ؟! وهكذا يدفعك الهلع والخوف – الذى يضعه فى نفسك عدم الإيمان – إلى أن تعيش حياة البؤس والشقاء ؛ يستعبدك من هو أقوى منك .

ويأخذ منك كل ما تملك ، وإذا اختلفت معه قتلك وسلبك الحياة ؛ ولكن عبوديتك لله سبحانه وتعالى هى عطاء بلا أخذ ، فالله يعطيك الحياة ويعطيك الصحة ، ويعطيك المال ، ويعطيك الولد ، ويعطيك العافية ، ويعطيك الطمأنينة ، ويعطيك الشجاعة والقوة والقدرة ، ويعطيك الأمن ، ويعطيك المنهج الذى يكفل لك كل حقوقك ، فلا يضيع لك حق مهما كانت قوة ذلك الذى يظلمك ؛ لأن الله أقوى منه ، ولا يأخذ أحد منك شيئاً ، فمنهج الله مع الضعيف ضد القوى ، ومع المظلوم ضد الظالم ، ولقد قال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه : « الضعيف منكم قوى عندى حتى آخذ الحق له ، والقوى منكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه » ، وهكذا منهج الله قوة للضعيف ، ووقوف فى وجه الظالم ؛ فأنت حين تتبع منهج الله تعيش حياةً كلُّها عطاء .

○○○

الإخلاص فى الدعاء

قال الله تعالى : ﴿ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ .

[الأعراف : ٢٩]

والدعاء : طلبٌ من عاجز يتجه به لقادر فى فعل يحبه الداعى. وحين تدعو ربك ادعه مخلصاً له الدين بحيث لا يكون فى بالك الأسباب ، لأن الأسباب إن كانت فى بالك فأنت لم تخلص الدين لأن معنى الإخلاص هو : تصفية أى شئ من الشوائب التى فيه ، والشوائب فى العقائد وفى الأعمال تفسد الإتقان والإخلاص وإياكم أن تفهموا أن أحداً لا تأتى له هذه المسألة فرسول الله ﷺ يقول : « إنه لَيُغَانُ على قلبى ، وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة » (١) .

إذن .. فالإخلاص عملية قلبية ، وأنت حين تدعو الله ، ادعه دائماً عن اضطرار ، ومعنى اضطرار : أن ينقطع رجاؤك وأملك بالأسباب كلها . فذهبت للمسبِّب ، ومادمت مضطراً

(١) أخرجه مسلم [٤١/٢٧٠٢] عن الأغر المزنى رضى الله تعالى عنه .

سيجيب ربنا دعوتك لأنك استنفدت الأسباب ، وبعض الناس يدعون الله عن ترف فالإنسان قد يملك طعام يومه ويقول : أرزقنى ويكون له سكن طيب ويقول : أريد بيتاً أملكه . إذن فبعضنا يدعو بأشياء لله فيها أسباب فيجب أن نأخذ بها وغالبية دعائنا عن غير اضطرار . وأنا أتحدَّى أن يكون إنسان قد انتهى به أمر إلى الاضطرار ولم يجبه الله .

○○○

أكل الحلال ... من موجبات قبول الدعاء

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

[البقرة : ١٦٨]

إن من رحمة الله عز وجل على عباده أنه لم يقصر الخطاب على الذين آمنوا وإنما وسّع الدائرة لتشمل المؤمنين وغيرهم فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ فكأنه خلق ما فى الأرض جميعاً للناس جميعاً وهذا ماقلناه عنه : إنه عطاء الربوبية لكل البشر من آمن منهم ومن لم يؤمن ، فهو سبحانه خلق كل الخلق مؤمنهم وكافرهم ، ومادام قد خلقهم واستدعاهم إلى الوجود فهو يوجه الخطاب لهم جميعاً مؤمنهم وكافرهم وكأن الخطاب يقول للكافرين : حتى ولو لم تؤمنوا بالله فخذوا من المؤمنين الأشياء الحلال واستعملوها لأنها تفيدكم فى دنياكم ، وإن لم تؤمنوا بالله لأن من مصلحتكم أن تأكلوا الحلال الطيب فالله لم يحرم إلا كل ضار ، ولم يُحِلّ إلا كل طيب .

هنا موقف يقفه كثير من الذين أسرفوا على أنفسهم ويحبون أن تكون قضية الدِّين ، وقضية التحريم ، وقضية التحليل ، قضايا كاذبة ؛ لأنه لا ينجيهم أمام أنفسهم إلا أن يجدوا أشياء يكذّبون بها الدين ، لأنهم لم يستطيعوا أن يحملوا أنفسهم على مطلوبات الله ، فلمّا لم يستطيعوا ذلك ما يجدوا منفذاً لهم إلا أن يقولوا : إن قضايا الدِّين كاذبة بما فيها التحليل والتحريم . إنهم يقولون : مادام الله قد حرّم شيئاً فلماذا خلقه فى الكون ؟

كأنهم يعتقدون أن كل مخلوق فى الأرض قد خُلق ليؤكل ، وما علموا أن لكل مخلوق فى الأرض مهمة . فهم الآن يمسكون الحيّات والثعابين ليستخلصوا منها السموم ؛ حتى يقتلوا بها الميكروبات التى تقتل الإنسان ، وكانوا قبل اكتشاف فائدة السم فى الثعبان يتساءلون « وما فائدة خلق مثل هذه الثعابين ؟ » . فلما أحوجهم الله وألجأهم إلى أن يستفيدوا بما فى الثعابين مَن سم ليجعلوه علاجاً ، أدركوا حكمة الله من خلق هذه الأنواع لقد خلقها لا لنأكلها وإنما لنعالج بها .

فأنت إذا رأيت شيئاً محرماً لا تقل لماذا خلقه الله ، لأنك لا تعرف ما هى مهمته فليست مهمة كل مخلوق أن يأكله الإنسان ، إنما لكل مخلوق مهمة قد لا تشعر بأدائها فى الكون .

وهذه مسألة نستعملها نحن فى ذوات نفوسنا ، على سبيل المثال : عندما يأتى الصيف ونخشى على ملابسنا الصوفية من الحشرات فنأتى لها بما يقتل الحشرات وهو « النفتالين » ، ونُحذِّر أبناءنا من عدم الاقتراب منه وأكلِه . إنّ « النفتالين » لا يُؤكل ولكنه مفيد فى قتل الحشرات الضارة .

كذلك « الفينيك » نشتريه ونضعه فى زجاجة فى المنزل لنطهر به أى مكان ملوث ، ونحذر الأطفال منه لأنه ضارّ لهم ، ولكنه نافع فى تطهير المنزل من الحشرات ، وكذلك المخلوقات التى لا نعرف حكمة خلقها ، لقد خلقها الله لمهمة خاصة بها فلا تنقل شيئاً من مهمته إلى مهمةٍ أخرى .

وإذا كان الإنسان لم يدرك حتى الآن فائدة بعض المخلوقات : فما أكثر ما يجهل وهو يكتشف كل يوم سراً من أسرار مخلوقات الله .

وعلى سبيل المثال كانوا ينظرون إلى نوع من السمك لا يتجاوز حجمه عقلة الأصبع ولا يكبر أبداً واحتاروا فى فائدته ، وعندما ذهبنا للسعودية ورأينا الأماكن التى تأخذ منها الماء الذى قد يفسد ووجدنا هذا النوع من السمك بكثرة ، فسألناهم عن حقيقة هذا السمك ، فقالوا : إنه لا يكبر ويظلُّ على هذا الحجم ، ومُهِمَّتُه تنقية المياه فى الأماكن التى لا يقوم الإنسان بتنقيتها . وجَرَّبْنَا حقيقة ما قالوا ، فألقينا بعضاً من مخلفات الطعام فوجدنا هذه الأسماك تخرج من حيث لا ندرى وتلقف هذه البقايا ولا تتركها حتى تنهيها .

هكذا يخلق الحى القيوم مخلوقات لتحفظ مخلوقات أخرى .

هو سبحانه يقول للإنسان : لا تأكل هذا ، وكُل ذاك لحكمةٍ قد لا نعرفها .

مثال آخر : الطائر المعروف بأبى قردان صديق الفلاح كانت وظيفته فى الحياة أن يأكل الحشرات والديدان عند رى الأرض ، ومنذ أن اختفى هذا الطائر بتأثير المبيدات استفحل خطر الديدان على الزرع وبخاصة دودة القطن . إنها معادلة إلهية

مركبة تركيباً دقيقاً . وكذلك الذباب يتساءل بعض الناس « ما حكمة وجوده فى الحياة ؟ » ، وهم لا يعرفون أن الذباب يؤدى للإنسان دوراً هاماً هو أكل القاذورات وما بها من أمراض ولو تحصن الناس بالنظافة لما جاءهم الذباب .

إذن فكل شئ فى الوجود مُرَتَّبٌ ترتيباً دقيقاً . إنه ترتيب خالقٍ عليم حكيم ، ومادام الحكيم هو الذى خلق فلا يعترض أحد ويقول لماذا خلق كذا وكذا لأن لكل مخلوق دوراً يؤديه فى الكون.

ولذلك ينبه الخالق الناس – مؤمنهم وكافرهم – بأن يأكلوا الحلال الطيب من الأرض ، وهو يقول للكافر إنك إن تعقلت الأمور لوجدت أن كل ما أمرتك به هو لصالحك ، وحتى لو لم تؤمن فأنا أدلك على ما ينفع فلا تأكل إلا الحلال الطيب ، وانظر إلى المؤمنين بماذا سمح لهم من طعام وكُلْ مثلهم .

وقد أثبت الواقع والتاريخ أن الكافرين يلجأون إلى منهج الله فى بعض الأقضية ليحلوا مشاكل حياتهم . لا بدين الله كدين ولكن بأوامر الله كنظام ، فلو كان عند الكافرين بالله حكمة

حتى فيما يتعلق بشئون دنياهم لأخذوا ما أمر الله به المؤمنين واتبعوه ..

والمثال على ذلك عندما يُحرِّم الحق سبحانه وتعالى لحم الميتة « أى التى ماتت ولم تذبح » ، إن لحمها ضارٌ بالصحة لأن أوعية الدم فى الحيوان وفى كل كائن حى هى وعاءان : إما أوردة وإما شرايين ، والدم قبل أن يذهب إلى الكلى أو الرئة يكون دماً فاسداً ونحن عندما نذبح الحيوان يسيل منه الدم الفاسد وغير الفاسد ويخرج ، ويصير اللحم خالصاً ، لكن الحيوان الذى لم يُذبح لم يُذكَّ يعنى لم يُطَهَّر من فساد الدم . وهو ضار للإنسان .

والحق سبحانه وتعالى عندما يقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فكأنه يدعو غير المؤمنين: لو عقلتم لوجب أن تحتاطوا إلى حياتكم بألا تأكلوا إلا حلالاً أحلَّه الله للمؤمنين . ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ . أى لا تسيروا وراء الشيطان ، فالخطوة هى : المسافة بين القدمين عند المشى ، أى بين النقلة والنقلة ، ولا تجعلوا الشيطان قائدكم لأن الشيطان عداوته لكم

مسبقة ، ويجب ان نحتاطوا بسوء الظن فيه ؛ فهو الذى عصى ربه ولا يصح أن يُطاع فى أى أمر ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ وعداوة الشيطان للإنسان قديمة منذ أيام آدم .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٢] .

وهذا خطاب من الله للذين آمنوا بأن يأكلوا من الطيبات وقد سبق فى الآية ١٦٨ خطاب مماثل فى الموضوع نفسه ولكن للناس جميعاً وهو قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ . وقلنا : إن الحق سبحانه وتعالى ساعة يخاطب الناس جميعاً فهو يلفتهم إلى قضية الإيمان ، ولكن حين يخاطب المؤمنين فهو يعطيهم أحكام الإيمان .

فالله لا يُكَلِّفُ بحكم إلا من آمن به ، أما من لم يؤمن به فلا يكلفه بأى حكم لأن الإيمان التزام . ومادمت قد التزمت بأنه إله حكيم فخذ منه أحكام دينك .

وعدل الله اقتضى ألا يكلف إلا من يؤمن وهذا على خلاف مألوف البشر لأن تكليفات القادة من البشر للبشر تكون لمن يرضى بقيادتهم ومن لم يرض وإذا كان للقائد من البشر قوة فإنه يستخدمها لإرغام من يوجدون تحت ولايته على تنفيذ ما يقول .

وخطاب الله للمؤمنين هناجاء بقوله : ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ ذلك أن المؤمن يتيقن تماماً بأن الله هو الخالق وهو الذى يرزق . ويذيّل الآية الكريمة بقوله : ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ فشكر العبد المؤمن للرب الخالق واجب مادام العبد المؤمن يختص الله بالعبادة .

O O O

نماذج من أدعية
فضيلة الشيخ الإمام

فى استقبال رمضان

بسم الله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ، ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد .. فإنك يا رب كما شرفتنا بالإيمان بك [1] ، وكرمتنا فى أركان الإسلام بالصيام لك ؛ أعِنَّا على طاعتك فيه ، واجعل اللهم صفاء أرواحنا فى استقباله وسيلة للإجابة فى كل ما نسأل مما علمتنا أن ندعوك به فى قولك فى كتابك الكريم : ربنا .. ربنا .. ربنا .. [2] .

---

(١) يشير الشيخ رحمه الله إلى منّة الله علينا بالإسلام والإيمان ، كما فى قوله تعالى : ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الحجرات : ١٧] .

ومن هنا كان على المسلم أن يسأل الله الثبات على الإيمان وأن يرزقه الله الإيمان الدائم ، فقد كان من دعاء أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه : « اللهم إنى أسألك إيماناً دائماً ، وعلماً نافعاً ، وهدياً قيماً » . رواه ابن أبى شيبة فى « الإيمان » برقم [١٠٦] بإسناد صحيح .

(٢) مثل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ

ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٨] .

وقوله : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١] .

وقوله : ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٠] .

وقوله ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران : ٨] .

وقوله : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران : ١٦] .

وقوله : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٣] .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ

أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٧] .

وقوله : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ۝ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝ ﴾ [آل عمران] .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٢] .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٤٧] .

وقوله : ﴿ ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٩] .

وقوله : ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٦] .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝ ﴾ [يونس] .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم : ٤١] .

وقوله : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف : ١٠] .

وفي كل ما سألك به من اصطفيتهم للرسالة من آدم - أول خليفة - إلى سيدنا محمد خاتم رسل الله .

وأول دعائي فيه أن وفق أنا والمسلمون جميعاً بأن نقيمه

وقوله : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ .
[المؤمنون : ١٠٩] .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] .

وقوله : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾ .
[الممتحنة] .

على أصفى ما تحب ، وأطهر ما تريد ، وأن تجعل الطاقة منه عوناً على كل حركتنا في الحياة ، وحتى يكون صفاؤنا فيه نور على كل مكان وشعاع كل زمان ، حتى لا تقتصر بركته على رمضان بل تشيع ورعاً في كل الأحيان .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

○○○

وقوله : ﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم : ٨] .

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، النبى الخاتم ، ورحمة الله للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

فإنى أستهلّ دعائى بما استُهلّ به كتابُك الكريم :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝ ﴾ [الفاتحة] .

« اللهم أنت ربى ، لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ ، وأبوء لك بذنبى ؛ فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » [1] .

(١) أخرجه البخارى [٦٣٠٦] ، والنسائى [٢٧٩/٨] =

اللهم إنك شرعت السؤال راحة بال ، وإلا فماذا نسأل وقد أعطيتنا قبل أن نعرف كيف نسأل .

وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين وخاتم الأنبياء والمرسلين .

○○○

= والترمذى [٣٣٩٣] من حديث شداد بن أوس ، وقال : وفى الباب عن أبى هريرة ، وابن عمر ، وابن مسعود ، وابن بزى ، وبريدة رضى الله تعالى عنهم .

فائدة : قوله : « أبوء لك بنعمتك علىّ .. » ، أعترف لك طوعاً بنعمتك علىّ ، وكأنه من الأصل المُقدم فى الرجوع ؛ أى : رجعت إلى الإقرار والاعتراف ، أو من اللزوم ؛ أى : ألزمت ذلك نفسى واحتملته لك يا مولاى .

قال فى الفتح : أصل البوء اللزوم ، ومنه : « أبوء بنعمتك » ؛ أى : ألزمُهَا نفسى ، وأُقِرُّ بها ، ولفظ النعمة ، وإن كان مفرداً ، لكنه مضاف ، فيعم كل نعمة من الظاهرة ، والباطنة .

« نتائج الأفكار شرح حديث سيد الاستغفار » للسفارينى [ص : ٣١٠] .

التوكل على الله

بسم الله والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام : ١] .

« اللهم أنت ربى ، لا إله أنت ، عليك توكلت ، وأنت رب العرش العظيم .

ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم .

أعلم أن الله على كلّ شئ قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شئ علماً .

اللهم إنى أعوذ من بك من شر نفسى ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، إن ربى على صراط مستقيم [1] .

(١) رواه الطبرانى فى الدعاء [٣٤٣] والبيهقى فى دلائل النبوة [١٢٢،١٢١/٧] ، وفى الأسماء والصفات [٣٤٤] =

اللهم إنا ندعوك ضراعة نداء ، وذُلّ احتماء ، فإننا نعلو بما تشاء على ما تشاء .

وصلى الله على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين وخاتم الأنبياء والمرسلين .

○○○

= وابن السنى فى عمل اليوم والليلة [٥٧] ، وغيرهم من حديث أبى الدرداء .

وقد قال العراقى فى المغنى عن حمل الأسفار بهامش إحياء علوم الدين [٣١٦/١] حديث أبى الدرداء ضعيف - والحديث قد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية فى الكلم الطيب [٢٨] ، وذكره السيوطى فى جمع الجوامع [٦٣٦/٢- مخطوط] وقال : فيه الأغلب بن تميم منكر الحديث ، وقد ضعّفه الشيخ الألبانى فى تحقيقه للكلم الطيب .

دعاء من حزبه أمر أو أصابه غم

بسم الله والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

« اللَّهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبى ونور صدرى ، وجلاء حزنى وذهاب همّى » [1] .

(١) رواه أحمد فى المسند [٣٩١/١، ٤٥٢] ، والحاكم فى المستدرك [٥٠٩/١] ، وابن حبان فى صحيحه [٩٧٢] ، وأبو يعلى الموصلى [٥٢٩٧] والطبرانى فى الكبير [١٠٣٥٢] ، وابن السنى [٣٤٠] من حديث عبد الله بن مسعود =

اللَّهم إنى أتوسل بك إليك ، وأقسم بك عليك ، فكما كنت دليلى عليك ، فكن اللَّهم شفيعى لديك ، فإن حسناتى منك ، وإن سيئاتى منى ، فبجُدْ اللَّهم بما هو منك على ما هو منى .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

○○○

= وصححه ابن حبان والحاكم وابن القيم فى شفاء العليل [ص:٢٧٤] ، واستفاض فى شرحه فى كتابه الفوائد [ص:٢٤-٢٩] . وقد صححه العلامة أحمد شاكر فى تعليقه على المسند [٣٧١٢] . وذكره الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة [١٩٩] .

الدعاء عند الصباح والمساء

بسم الله والحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[1] [الإسراء : ١١١] .

اللهم إنى أصبحت وأمسيت أشهدك ، وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك ، أنك أنت الله ، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك [2] .

---

(١) روى الإمام أحمد عن معاذ بن أنس رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول إذا نفر : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ... ﴾ إلى آخر الآية .

(٢) رواه أبو داود [٥٠٦٩] ، والترمذى [٣٥٠١] ، والنسائى [٩٨٣٧] من حديث أنس ، وضعفه الشيخ الألبانى فى الكلم الطيب . وهو فى السلسلة الضعيفة برقم [١٠٤١] ، وقد رواه الحاكم فى المستدرك [٥٢٣/١] ، والطبرانى [٦٠٦١،٦٠٦٢] عن أبى هريرة عن سلمان .

بلّغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الله به الغُمّة [1] ، اللهم آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، والدرجة العالية الرفيعة ، وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته [2] ، إنك لا تخلف الميعاد .

اللهم يا مالك كل من ملك ، ولذلك تؤتيه من تشاء وتنزعه ممن تشاء [3] ولك من عالم الملك مالا يُملك ، ولك من عالم الملكوت مالا تُطلع عليه إلا عباد الرحموت .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) كشف الله به الغُمّة ، والمعنى : أى كشف الله به ظلمة الشرك .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخارى [٦١٤] ، وأبو داود [٥٢٩] ، والترمذى [٢١١] ، والنسائى [٩٨٧٤] ، وابن ماجه [٧٢٢] ، وغيرهم من حديث جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه فى ما يقال بعد الأذان .

وأما قوله إنك لا تخلف الميعاد : زيادة شاذة رواها البيهقى فى سننه [٤١٠/١] وضعّفها الألبانى فى إرواء الغليل [٢٦٠/١] .

(٣) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

في طلب الرحمة والمغفرة

بسم الله والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد ﷺ وبعد ...

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ٢٨] .

اللَّهم آت نفسي تقواها وزكِّها أنت خير من زكاها ، أنت وليُّها ومولاها [١] .

اللَّهم أغننا برحمتك عن رحمة من سواك [٢] ، واجعل نعمتك علينا مُذَكِّرَةً بك ، ومعينة على طاعتك .

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [٧٣/٢٧٢٢] ، والنسائي في الصغرى [٥٤٥٨] ، وأحمد في المسند [٣٧١/٤] ، والسنة لابن أبي عاصم [٣٢٠] من حديث زيد بن الأرقم رضي الله تعالى عنه .

(٢) إشارة لقوله ﷺ : « .. وأغنني بفضلك عمن سواك » الصحيحة [٢٦٦] .

اللَّهم يا رب كل شيء ، بقدرتك على كل شيء اغفر لنا كل شئ ، ولا تسألنا عن شيء [١] .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

○○○

(١) إشارة لما أخرجه مسلم [٢١٦/٣٦٧] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : أن النبي ﷺ قال : « يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب » ، فقال رجل : يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلني منهم . قال : « اللهم اجعله منهم » ثم قام آخر فقال : يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلني منهم ، قال : « سبقك بها عُكاشة » .

بسم الله والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ، ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

[النمل : ١٥] .

اللَّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها [1] .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [٧٣/٢٧٢٢] ، والنسائي في الصغرى [٥٤٥٨] من حديث زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه . والنسائي [٥٥٣٦،٥٥٣٧] من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

بسم الله والحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا رسول الله .

اللَّهم إني أسألك يا حي ، صفة ذاتك ، ويا محيي صفة أفعالك ، وما بالذات لا يفوت ، وما بالفعل يحيا ويموت .

يا مُصَوِّبَ خطأ الدعاء بأن لا نجيب ، وبهذا تحمي من الضرّ من يدعو بالشر دعائه بالخير [1] ، سبحانك يا رب – ولا تقال إلا لك – حذّرتنا أن لا نحكم فيما لا نعلم حتى لا نُحَكِّم الأهواء في تزيين ما نشاء .

وحسبنا من قولك : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

ما أيده الواقع من شر فيما نحب ومن خير فيما نكره .

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

○○○

---

(١) قال الله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء : ١١] .

بسم الله ، أحمدك ربى وأستعينك ، وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد .

اللَّهم إنى أسألك أن تجعل ما وهبتنا مما نُحب معونة لنا على ما تُحب [1] ، وما زويت عنا مما نُحب فاجعله فراغاً لنا فيما تُحب [2] .

(١) روى الترمذى [٣٤٩٠] من حديث أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه ، وحسّنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « كان من دعاء داود يقول : اللَّهم إنى أسألك حبك ، وحب من يحبك ، والعمل الذى يبلغنى حبك ، اللهم اجعل حبك أحب إلى من نفسى وأهلى ، ومن الماء البارد » . وقال الألبانى فى ضعيف الترمذى [٣٧٣٦] : ضعيف .

(٢) روى الترمذى [٣٤٩١] من حديث عبد الله بن يزيد الخطمى الأنصارى رضى الله تعالى عنه ، وحسنه ، عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول فى دعائه : « اللَّهم ارزقنى حبك ، وحب من ينفعنى حبه عندك ، اللهم ما رزقتنى مما =

اللَّهم لا تجعل أُنسنا إلا بك ، ولا حاجتنا إلا إليك ، ولا رغبتنا إلا فى ثوابك والجنة [1] .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

○○○

= أحب فاجعله قوة لى فيما تحب ، اللهم وما زويت عنى مما أحب فاجعله لى قوة بما تحب » وقال الألبانى فى ضعيف الترمذى [٣٧٣٧] : ضعيف .

(١) روى الترمذى [٢٥٧٢] من حديث أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة ، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار : اللَّهم أجِرْهُ من النار » .

الشكر

بسم الله والحمد لله ، وصلى الله على سيدنا ومولانا رسول الله .

اللهم إنى أسألك أن تبسط لسانى بشكر النعمة منك (١) ؛ وأسألك أن تقبض عن نفسى تلصص الغفلة عنك .

يا مالك قبل أن يوجد مملوك ، ويا أول لا قبله آخر ، ويا آخر لا بعد أول (٢) فذاك فى ذاك فقف أيها العقل عند منتهاك .

---

(١) روى الترمذى [٣٠١٤] من حديث ثوبان رضى الله تعالى عنه وحسنه . قال : لما نزلت : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة : ٣٤] . كنا مع النبى ﷺ فى بعض أسفاره فقال بعض أصحابه : أُنزل فى الذهب والفضة ما أنزل ، لو علمنا أى المال خير فنتخذه ؟ فقال : « أفضله لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه » . وصححه الألبانى [٢٤٧٠] .

(٢) إشارة لقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣] . =

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

○○○

= أخرج مسلم [٢٧١٣/٦١] عن جرير بن سهل قال : كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام ، أن يضطجع على شقه الأيمن ، ثم يقول : « اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شئ ، فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل ، والفرقان أعوذ بك من شر كل شئ أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ ، وأنت الآخر فليس بعدك شئ ، وأنت الظاهر فليس فوقك شئ ، وأنت الباطن فليس دونك شئ ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر » . وكان يروى ذلك عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ .

التضرع إلى الله تعالى

بسم الله والحمد والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

اللهم إنا ندعوك ضراعة نداء ، وذل احتماء لأنا نعلو بما تشاء على ما نشاء .

اللهم إنك شرعت السؤال [1] راحة بال وإلا فماذا نسأل وقد أعطيتنا قبل أن نعرف كيف نسأل [2] يا مالكا كل ملك ، ولذلك تؤتيه من تشاء وتنزعه ممن تشاء [3] ، ولك من عالم الملك ما لا يملك ، ولك من عالم الملكوت ما لا تُطلع عليه إلا عباد الرحموت .

وصلى الله وسلم على سيدنا و مولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

(٢) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٨] .

(٣) إشارة إلى قول الحق سبحانه : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

فى طلب الستر

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

اللهم إن فى سترك لعيوبنا ، وفى أمر عبادك بالستر علينا [1] بشارة بالمغفرة ، فما كنت لتستر فى دار الفناء لتفضح فى دار البقاء [2] .

اللهم إن من أجلّ نعمك ستر عيوبنا عن خلقك وحتى لا نزهد فى حسنات من نعرف له سيئة وحسبنا جزاءً على ستر عيوب سوانا أن تستر غيرنا عن عيوبنا .

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) أخرج البخارى [٢٤٤٢] من حديث عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » .

(٢) أخرج مسلم [٢٥٩٠/٧١] من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، عن النبى ﷺ قال : « لا يستر الله على عبد فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة » .

المؤمن مع من أحب

بسم الله والحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا رسول الله .

اللَّهم إنى أعلم أننى عاصيك ، ولكنى أحب من يُطيعك [1]

فاجعل اللَّهم حبى لمن أطاعك شفاعة تُقبل لمن عصاك .

اللَّهم إن بعض خلقك قد غرَّهم حلمك واستبطئوا آخرتك فلم يتبعوا القرآن [2] ، وسخروا من أهل الإيمان [3] ،

(١) أخرج البخارى [٣٢٠٩] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال : « إذا أحب الله العبد نادى جبريل : إن الله يحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، فينادى جبريل فى أهل السماء : إن الله تعالى يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء . ثم يوضع له القبول فى الأرض » .

(٢) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر : ٥] ، وقوله تعالى : ﴿ ... فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ ﴾ [الحديد : ١٤] .

(٣) مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ ﴾ [المطففين] .

فأسألك أن لا تمهلهم حتى لا يكونوا أسوة لكفر غيرهم [1] .

اللَّهم إنى أحمدك على كل قضائك وجميع قدرك ، حمد الرضا بحكمك لليقين بحكمتك .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

○○○

(١) إشارة إلى دعاء نبى الله نوح على قومه إذ قال : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝ ﴾ .

من دعاء الأنبياء والمرسلين

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

اللهم إني أدعوك بما دعاك به أولو العزم من الرسل ، فأدعوك بما دعاك به آدم عليه السلام : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

وأدعوك بما دعاك به نوح عليه السلام حين قال : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [نوح : ٢٨] .

وندعوك بما دعاك به إبراهيم عليه السلام حينما قال : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [إبراهيم : ٤٠] .

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

○○○

من دعاء الأنبياء والمرسلين

بسم الله ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

اللهم إني أدعوك بما دعاك به يوسف عليه السلام : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١) [يوسف : ١٠١] .

وأدعوك بما دعاك به موسى عليه السلام :

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾ [طه] .

وأدعوك بما دعاك به سليمان عليه السلام حين قال : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل : ١٩] .

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) فائدة : « ليس هذا من يوسف تمنياً للموت ، كما ظنه بعضهم ، بل هو دعاء لله أن يحسن خاتمته ويتوفاه على الإسلام ، كما يسأل العبد ربه ذلك كل وقت » . فوائد مستنبطة من قصة يوسف ؛ للشيخ عبد الرحمن السعدي [ص: ١٣١] .

بسم الله والحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا رسول الله .

اللهم إنا لا نخلوا عن نظرك طرفة عين ، فارزقنا الحياء من معصيتك ، وعلّمنا أن لنا رزقاً لا يتجاوزنا ، وقد ضمنته لنا (١) فقنعنا به واحفظنا من التلصّص له . وعلّمنا أن علينا ديناً لا يؤدّيه عنا غيرنا فاجعلنا فى شغل به . وعلّمنا أن لنا أجلاً يبادرنا بغتة (٢) فأعِنّا اللهم بطاعتك ، ولا تتخلّ عنا بمعونتك (٣) .

---

(١) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود : ٦] .

(٢) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

(٣) إشارة إلى قول النبى ﷺ : « دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله ، لا إله إلا أنت » . رواه أحمد فى المسند [٤٢/٥] =

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

○○○

= وأبو داود [٥٠٩٠] عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه رضى الله تعالى عنهما ، وقال الألبانى فى صحيح أبى داود [٤٢٤٦] : حسن .

فائدة : قال العلامة ابن رجب : « ولا يقوى العبد على نفسه إلا بتوفيق الله إياه ، وتولّيه له . فمن علمه الله وحفظه : تولاّه ووقاه شُحَّ نفسه وشرها ، وقوّاه على مجاهدتها ومعاداتها . ومن وَكَله إلى نفسه : غلبته وقهرته وأسرته ، وجرته إلى ما هو عين هلاكه إذا ظفر بعدوه المسلم . بل شر من ذلك ، فإن المسلم إذا قتلته عدوه الكافر كان شهيداً ، وأما النفس إذا تمكنت من صاحبها قتله قتلاً يهلك به فى الدنيا والآخرة . فلهذا كان من أهم الأمور : سؤال العبد ربه أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين » . أهـ

« شرح حديث لبيك اللهم لبيك » [ص١٢٩، ١٣٠] .

التسليم لله تعالى

بسم الله ، أحمدك ربى وأستعينك ، وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين .

اللهم يا واجب الوجود ، وبك كل موجود ، لا تدركك الأبصار لكمال ذاتك ، وتدرك أنت الأبصار لإحاطة صفاتك [1] .

فإذا كانت الروح التى تحيا بها النفس لا يدركها أى حس ؛ فكيف ندرك من خلق وقد عجزنا عن إدراك ما خلق .

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

○○○

(١) إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ . [الأنعام : ١٠٣] .

من أسماء الله الحسنى « المُقيت »

بسم الله أحمده وأستعينه ، وأصلى وأسلم على خير خلقه ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم يا مُقيت لمادتنا بالغذاء ، ويا مقيت [1] قيِّمنا بما

(١) المقيت : من أسماء الله الحسنى ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء : ٨٥] . فهو سبحانه الذى أوصل إلى كل موجود ما به يقتات ، وأوصل إليها أرزاقها وصرفها كيف يشاء ، بحكمته وحمده .

قال الراغب الأصفهانى : القوت ما يمسك الرَّمق وجمعه : أقوات . قال تعالى : ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾ [فصلت : ١٠] ، وقاته يقوته قوتاً : أطعمه قوته . وأقاته يقيته جعل له ما يقوته ، وفى الحديث : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء : ٨٥] . قيل : مقتدراً ، وقيل : شاهداً ، وحقيقته قائماً عليه يحفظه ، ويقيته ، وقال فى القاموس المحيط : « المقيت : الحافظ للشئ ، والشاهد له ، والمقتدر ، كالذى يعطى كل أحد قوته » وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : مقتدراً أو مجازياً =

شرعت من إسلام وأحكام ، نسالك أن تعيننا وتقيتنا فى دار البقاء لما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [1] .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

= وقال مجاهد : شاهداً ، وقال قتادة : حافظاً ، وقيل : معناه على كل مجاهد على كل حيوان مقيتاً : أى يوصل القوت إليه ، وقال ابن كثير : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ أى : حفيظاً ، وقال مجاهد : شهيداً ، وفى رواية عنه : حسيباً ، وقيل : قديراً ، قيل : المقيت الرازق ، وقيل : مقيت لكل إنسان بقدر عمله .

معجم ألفاظ العقيدة [٣٨٥، ٣٨٦] .

(١) إشارة إلى قول النبى ﷺ الذى أخرجه البخارى [٤٧٧٩، ٤٧٨٠] ، ومسلم [٢/٢٨٢٤] ، والترمذى [٣١٩٧] ، وأحمد فى المسند [٢/٤٣٨] من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، وفيه : يقول الله تعالى : « أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ذخراً له ما اطلعتم عليه ، وقرأ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] .

من أسماء الله الحسنى « الجامع .. المانع »

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

اللهم أنت الجامع [1] المانع ، جمعت لذاتك مالا يُحصَى من صفات الكمال .

ومنعت بسُبحانيتك أن يشبهك أى مثال [2] .

(١) وهو سبحانه جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، وجامع أرزقهم ، فلا يترك منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وجامع ما تفرق واستحال من الأموات الأولين والآخرين ، بكمال قدرته ، وسعة علمه .

« تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان » للسعدى [٥/٦٢٧] .

(٢) إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة الشورى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

أخرج البخارى [٦٣٣٠] من حديث المغيرة بن شعبة : أن رسول الله ﷺ كان يقول فى دبر كل صلاة إذا سَلَّم : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شئ قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد .

وجمعت لكل خلقك كل خير .

ومنعت من أطاعك من تسلل أى شر ؛ فأعطنا اللّهم خير جامِعِيّك وحَصِّنّا اللهم بمانِعِيّك .

وصلى اللّه وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

○○○

من أسماء اللّه الحسنى
« الحسيب ... الرقيب »

بسم اللّه ، أحمده وأستعينه ، وأصلى وأسلم على خير خلقه سيدنا محمد .

اللّهم يا حسيب وكفى بك حسيباً ، اللهم يا رقيب وكفى بك رقيباً . لا يعزب عنك أصغر ذرة فى السماوات ولا فى الأرض [١] ، ولا يُعجِزَنَّك شئ لإحاطة قدرتك .

فعاملنا اللّهم بالفضل لا بالعدل ؛ وبالإحسان لا بالميزان ، وحسبنا من رحمتك التى وسعت كل شئ [٢] ما شكرناه من

(١) إشارة إلى قول اللّه تعالى : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٣] .
وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس : ٦١] .

(٢) قال اللّه تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا

نِعَم ربوبيتك وما أطعناه من نعمة ألوهيتك . وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

○○○

لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

[الأعراف : ١٥٦] .

من أسماء الله الحسنى
« الشفيع »

بسم الله والحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا رسول الله .

اللهم إنك الشفيع الأعلى ؛ بعد شفاعة من تأذن له بالشفاعة لمن ارتضيت [1] فاشفع اللهم لنا بصفات جمالك يـــا غفـــار

(١) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . وفيه حديث الشفاعة وهو متواتر . وأخرج البخارى [٧٥١٠] عن معبد بن هلال العنزى قال : اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهنا إلى أنس بن مالك وذهبنا معنا بثابت البنانى إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة : فإذا هو فى قصره فوافقناه يصلى الضحى ، فاستأذنا فأذن لنا وهو قاعد على فراشه ، قلنا لثابت : لا تسأله عن شئ أول من حديث الشفاعة فقال : يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة ؟ فقال : حدثنا محمد ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة ماج الناس فى بعض فيأتون آدم فيقولون : اشفع لنا إلى ربك فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن ، فيأتون إبراهيم فيقول : =

= لست لها ، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله ، فيأتون موسى فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بعيسى ، فإنه روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بمحمد ﷺ فيأتونى فأقول : أنا لها فأستأذن على ربى فيؤذن لى ويُلهمُنى محامدَ أحمده بها لا تحضرنى الآن فأحمده بتلك المحامد وأَخِرُّ له ساجدا فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تُعط ، واشفع تُشَفَّع ، فأقول : يا رب : أُمتى أُمتى . فيقال : انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال شعيرة من إيمان ، فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ، ثم أَخِرُّ له ساجداً فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تُعطَ ، واشفع تُشَفَّع ، فأقول يا رب : أُمتى أُمتى فيقال : انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة ، أو خردلة من إيمان ، فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخِرُّ له ساجداً فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعط ، واشفع تُشَفَّع ، فأقول يا رب : أُمتى أُمتى فيقال : انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل » . =

عند صفات جلالك ، يا قهار ، فإنه لا مفزع منك إلا إليك [1] لأنه لا إله إلا أنت .

= فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا : لو مررنا بالحسن وهو متوارٍ فى منزل أبى خليفة فحدثنا بما حدثنا أنس بن مالك فأتيناه فسلمنا عليه فأذن لنا وقلنا له : يا أبا سعيد جئناك من عند أخيك أنس بن مالك فلم نر مثل ما حدثنا فى الشفاعة فقال : هيه فحدثناه بالحديث فانتهى إلى هذا الموضع فقال : هيه ، فقلنا : لم يزد لنا على هذا فقال : لقد حدثنى وهو جميع مُنْذُ عشرين سنة فلا أدرى أنسى أم كره أن تتّكلوا ؟ فقلنا يا أبا سعيد ، فحدِّثْناه فضحك ، وقال : خلق الإنسان عجولا ما ذكرته إلا وأنا أريد أحدثكم ، حدثنى كما حدثكم به ، قال « ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك ثم أَخِرُّ له ساجداً فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسَلْ تُعطَ واشفع تُشَفَّع ، فأقول : يا رب ائذن لى فيمن قال : لا إله إلا الله فيقول : وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى لأُخرجَنَّ منها من قال لا إله إلا الله » .

(١) أخرج البخارى [٧٤٤٧] من حديث البراء بن عازب =

صلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

○○○

= رضى الله تعالى عنه قال : قال لى النبى ﷺ : « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل : اللّهم أسلمت وجهى إليك ، وفوضت أمرى إليك ، وألجأت ظهرى إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، اللّهم آمنت بكتابك الذى أنزلت ، وبنبيك الذى أرسلت . فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة . واجعلهن آخر ما تتكلم به » .

من أسماء الله الحسنى
« القوى »

بسم اللّه أحمده وأستعينه وأصلى على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

اللّهم أنت القوى ، فأعنّا بقوتك لنأخذ ما آتيتنا بقوة ، بقوة الإيجاب للطاعة ، وبقوة السلب عن المعصية ، واجعل اللّهم كل ما وهبتنا من طاقة أداة عمارة لورع حضارة ، حتى تكون لنا مناعة من وافدات الإلحاد وجرائيم الفساد .

وصلى اللّه وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

○○○

الفهرس

الموضوع — الصفحة

مقدمة الناشر ٣
اذكرونى أذكركم ٢٣
ذكر اللّه سراً وجهراً ٤٧
أفضل الذكر .. الذكر الخفى ٦٨
شكر اللّه على النعم ٧٨
الحمد ... حق اللّه على خلقه ٨١
شكر اللّه فى كلمتين ٨٣
تحصين النعم بالشكر ٨٥
زيادة النعم بالشكر ٩١
الحمد للّه .. على منهج اللّه ٩٣
الإخلاص فى الدعاء ١٠٠
أكل الحلال .. من موجبات قبول الدعاء ١٠٢
نماذج من أدعية فضيلة الشيخ الإمام ١١١

الموضوع	الصفحة

في استقبال رمضان ١١٣
سيد الاستغفار ١١٨
التوكل على الله ١٢٠
دعاء من حزبه أمر أو أصابه غَمّ ١٢٢
الدعاء عند الصباح والمساء ١٢٤
في طلب الرحمة والمغفرة ١٢٦
الاستعاذة ١٢٨
في الأُنس بالله ١٣٠
الشكر ١٣٢
التضرع إلى الله تعالى ١٣٤
في طلب الستر ١٣٥
المؤمن مع من أحب ١٣٦
من دعاء الأنبياء والمرسلين ١٣٨
من دعاء الأنبياء والمرسلين ١٣٩

الاستعانة بالله تعالى ١٤٠
التسليم لله تعالى ١٤٢
من أسماء الله الحسنى « المقيت » ١٤٣
من أسماء الله الحسنى « الجامع .. المانع » ١٤٥
من أسماء الله الحسنى « الحسيب .. الرقيب » ١٤٧
من أسماء الله الحسنى « الشفيع » ١٤٩
من أسماء الله الحسنى « القوى » ١٥٣
الفهرس ١٥٥

○○○